

الرحلة

النجدي الرحلي

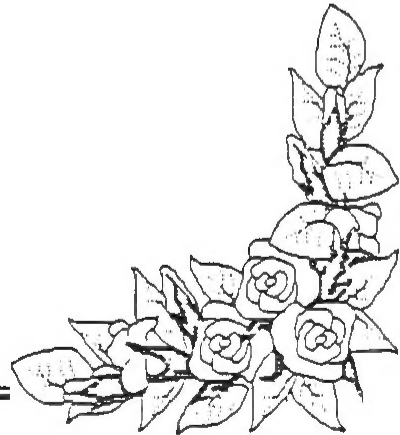
صور من حياة البادية

١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م

بقلم

محمد بحتة البيطار

الدمشقي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حق حمده . سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه . نحمده ونشكركه . وتتوب اليه ونستغفره . ونصلي ونسلم على من أرسل رحمة للعالمين سيدنا محمد ، وعلى سائر اخوانه الأنبياء والمرسلين ، ومن تبعهم باحسان .

وبعد فلما انقضى عهد الحكومة التركية في ديار الشام . وحلت محلها الحكومة العربية الأولى التي ترأسها الأمير فيصل بن الحسين (قبل أن يصير ملكا) دعا اليه الامام السيد محمد رشيد رضا من مصر ليكون عوناً له في الشؤون العربية والاسلامية ، فكان منهما أن اعتزما ارسال كتابين باسمهما مع رسولين أمينين يبلغان رسالتهما كتابة ومشفهة الى الامير عبد العزيز آل سعود في نجد (قبل أن يكون ملكاً أيضاً) . وهما يدعوان الى نصره الاسلام ، و « عقد اتفاق عام بين جميع أمراء الجزيرة العربية وأئمتها الكرام دفعا للعدوان الاجنبي » . وتم اختيارهما لهذا الضعيف ليبلغ الرسالة الدينية التي كتبها السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » ، وللأخ شلاش النجدي الذي كان مؤتمن الأمير فيصل لا يصال الرسالة السياسية ، فسافرنا بمشيئة الله متوكلين عليه . مسلمين أمرنا اليه . ولقينا من المخاطر والاهوال ما تشيب له النواصي ، وكنا

نحتسب ذلك عند الله ، ونرجو أن يكون ذلك جهادا في سبيله ، وابتغاء
رضوانه ومثوبته . ويجد القارئ وصفا لذلك كله في مذكراتي هذه
المفصلة عن هذه الرحلة التي امتدت خمسين يوما .

وقد أشار عليّ بعض الاخوان بنشر هذه الرحلة لطرافتها ،
ولتصويرها الواقعي الأمين لفترة مضطربة رهيبة من حياة الجزيرة
العربية كانت تتخطف فيها الأرواح وتسلب الأموال وتنتهك الحرمات ،
ولتذكير المسلمين بالخط الحديدي الحجازي الذي يربط بين الاقطار
ويقرب الأمصار ، عسى أن يكونوا أكثر جداً في تجديده وأوفر حرصا
على اعادته لفوائده الروحية والاقتصادية والاجتماعية . وقد آثرت
أن تطبع الرحلة كما كتبت أول مرة ، ولم أعمل فيها يد التنقيح أو
التهذيب لتبقى لها صورتها الاولى ولتحمل جوها الاصيل .

وفي آخر الرحلة ثلاثة كتب مهمة في موضوعها . ورأيت أخيرا أن
أكتب ترجمة موجزة لحياتي وألحقها بها . والحمد لله رب العالمين .
محمد بهجة البيطار

يوم السبت في ٨ جمادى الثانية عام ١٣٢٨ هـ (١٩٢٠ م)

باسمه تعالى وبحمده

سرنا على بركة الله ويسه . وسار بنا القطار الحجازي الخاص من
(محطة القنوات) في دمشق الشام ، الساعة الثالثة وعشر دقائق
صباحاً^(١) . ومررنا بالمحطات التالية :

(الكسوة) في الساعة الرابعة والدقيقة العشرين .

(دير علي) الساعة الخامسة . ثم (المسية) في الساعة الخامسة
والنصف ، وقد شاهدنا بها آلة ميكانيكية لاستخراج الماء . وفيها ماء
عذب خفيف .

(جباب) الساعة السادسة . ولم تقف عندها ، أما في المحطات الأولى
فقد وقفنا في كل منها بضع دقائق .

(خب) في الساعة السادسة والرابع . ثم (المحجة) بعد ربع ساعة ،
ثم (ازرع) في تمام الساعة السابعة . ثم (خربة الغزالة) في الساعة
والدقيقة الخامسة والعشرين . وهي أول قرية اجتمعنا فيها باخواننا
الميدانيين ، ثم وصلنا الى (درعا) الساعة الثامنة ، وهي أرقى من كل
ما سبقها من المحطات . وأبنية الحكومة فيها فخمة . وقد تجولنا فيها
قليلاً . ولم تيسر لنا زيارتها كلها ، ولا زيارة اخواننا الميدانيين فيها ،
وفيها نزل لطيف ، وقد أنسنا فيها بقاء أبناء عمنا الافندية حمدي
وبشير وفهمي ، وجلسنا عندهم نحو نصف ساعة ، وابتعنا من مخزنهم
وغيره بمقدار مائتين وخمسين قرشاً ، وابن عمنا حسني افندي هو
محاسب حوران الآن سلمهم الله . وفي درعا فرع للخط من جهة الغرب
الى حيفا .

(١) بالتوقيت الغروبي لا الزوالي .

وتابعنا سيرنا فبلغنا (المفرق) في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة عشرة . وقد شاهدنا بأه العين آثار المعارك الدموية الهائلة التي جرت في تلك البقعة بين العرب والترك . من عظام بالية ، وقطارات معطلة ، وتحصينات مخربة . فحسبنا الله ونعم الوكيل .

وبلغنا (خربة السمرا) الساعة الثانية عشرة مساءً : ثم (الزرقاء) في الساعة الواحدة ليلاً . وهي قرية يسكنها الجركس ، والذي اشتهرت به هو عينها الشهيرة بعين (الزرقاء) . وهي نهر في الجنوب الغربي ويمتد من البلقاء الى بحيرة لوط . ثم (عمّان) الساعة الثانية ليلاً وفيها آلة ميكانيكية لاستخراج الماء ، وقد تناولنا في المحطة طعام العشاء . وشربنا الشاي والقهوة ، ودار بيننا حديث في أخلاق الحجازيين والشاميين والنجديين . واتفقنا على أنه لا معصوم الا من عصم الله : ثم بتنا ليلتنا في قطارنا ، وقد جالت في صدري هذه الايات التي وجهت بها الى صديقنا الاستاذ عبد الحكيم الطرابلسي مدير مدرسة التوفيق وهي :

(فاتحة القول)

ديونك يا عبد الحكيم فأنصف وبادر الى توفير مال بها يفي
وان شئت أن تحيا عزيزا مكرما فكن رجلا في كل حال وموقفا

(دمعة حب ، ولوعة شوق)

أتذكر اذ ودعتكم ظهر (جمعة) وحبيبك يا هذا لقد كان متلقي
ونيران شوقي بعد بعدي وغررتي تثار لهيبا في الحشا ليس ينتفي

(الدواء الناجع)

لئن كنت ياخلي، و (بهجة) مهجتي مشوقا كشوقي مع مزيد تلهف
فعدك من أصحابنا من يذيه ولو شوق يعقوب الى شخص يولف

(خاتمة القول)

سلام على أهلي وصحبي ومعهدى على بعدهم غني يزيد تأسفي
سأذكرهم ذكرا حثيثا يهزني سريعا إلى ذلك المكان المشرف

يوم الأحد في ٩ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

صلينا فريضة الفجر مع الاخوان في القطار . ثم تجولنا في المحطة
ورأينا فيها منشآت الحكومة ، وهي أرقى من كل ما سبقها ما عدا درعا ،
ودور موظفي الحكومة مبنية كلها بالقرميد والحجر . فوق سفح الجبل ،
بناء هندسيا ، وفيها تزلزل لطيف مشتمل على غرفتين للنمائم ، وحجرتين
للطعام . وفيها قطار معطل مع شاحناته . اشترينا منها بمائة قرش طعاما ،
وبارحنها في الرابعة والدقيقة العشرين صباحا .

جرى القطار بنا — بعد عمّان بقليل — في نفق يبطن الجبل — نحو
دقيقتين ، ومررنا على جسر القصر . ثم بلغنا (القصر) الساعة الخامسة
والنصف . ثم (لبّْن) الساعة السادسة والرّبع ، ثم (الجيزة) الساعة
السادسة والنصف وفيها آلة ميكانيكية لجبر الماء . ثم (ضبعة) في الساعة
الثامنة والدقيقة العشرين . وقد لقينا فيها شيخا من عرب بني صخر
واسمه الشيخ السطل ، وقدم لنا جرعة من اللبن ، ولم يقبل الثمن ،
ودعانا لتناول الطعام عنده فشكرنا له ، وهو محافظ الخط هناك ،
وأعراب بني صخر منتشرون من حدود عمّان إلى القطرانة ، وقد
رأينا بعضهم في الطريق .

ثم (خان الزيب) الساعة التاسعة . ومن عجيب ما رأينا في هذا
المكان — في بركة ماء توضع منها — حيات ماء — بحجم سلك الكهرباء ،
قد انتظمت في بطنها حبات سوداء ، بمقدار العدسة . وتبلغ الحية طولا

أكثر من عشرة أذرع . ممتدة في الماء بشكل خطوط مستقيمة . ومنكسرة .
ومنحنية . فسبحان الخالق العظيم .

ثم (سواقة) الساعة العاشرة وعشر دقائق ، ثم محطة القطرانة
الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق ، وفيها آلة ميكانيكية لخراج الماء
وحمله الى الخزانات . وقد لقينا فيها الاستاذ فارس الذي كان معلم
الانكليزية في (المدرسة الكاملية) ، وهو موظف في ادارة الحكومة .
وسألني عن كتب نافعة له في الدروس العربية والادبية . فذكرت له
ما حضرنى ، وعرفني بحضرة المهندس المقيم هناك خليل بك المقدسي
فحصلت بيننا المعرفة والأنس ، وكتبت هناك مكتوبين أحدهما لالي .
والثاني لآخينا الطرابلسي وسلمتهما لدائرة البريد . وبتنا في القطرانة .
وحملوا منها الاخشاب والحديد والرمل . والبنزين لاصلاح السكة
الحديدية في عدة مواضع .

يوم الاثنين في ١٠ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

تحرك بنا القطار الساعة الثالثة صباحا ، فبلغنا (منزلة) الساعة
الرابعة ثم (فريفة) الساعة الخامسة ثم (الحما) الخربة الساعة
السادسة ثم (جروف) الخربة الساعة الثامنة ثم (عنزة) الخربة الساعة
التاسعة ثم (وادي الجردون) الساعة العاشرة وخمس دقائق ثم (معان)
المغرب ، وكان القطار يقف بنا في الطريق وقوفا طويلا . لاصلاح ما تعطل
من السكة الحديدية . وقيد من قبل المهندس خليل بك الذي ركب
معنا هو ومعاونه رمزي افندي التركي من أجله ، واستقبلنا في معان
الشيخ اسماعيل بك القزاز ، قائد الحملة هناك . وهو رجل مكى الزي
والاصل . يحسن اللغة التركية . ثم دعانا فتناولنا طعام المساء عنده .
وبتنا ليلة الثلاثاء في القطار . بمحطة معان .

يوم الثلاثاء في ١١ جمادى الثانية عام ١٢٢٨ هـ

تجولنا صباح الثلاثاء في قرية (معان) التي هي في غرب الخفـذ على مسافة نصف ساعة منه . وهي منقسمة الى قسمين (جنوبي) يسمى (معان المصرية) وشمالى يسمى (معان الشامىة) وبينهما مقدار ربع ساعة . وفي كل منهما مكتب بسيط ، وغالب بائعيها من أهل مكة المكرمة . وقد تناولنا الشاي في دار شاب نجيب من أهل (المدينة المنورة) واشترت منها طعاما بأربع ليرات عثمانية ذهباً .

وقد قضينا يوم الثلاثاء في (معان) منتظرين جنود القزاز ، التي جهزها بما يلزم لتصبحنا الى (مدائن صالح) ثم الى (المدينة المنورة) وتناولنا الطعام مساء عند القزاز أيضاً . فحياء الله ، ثم بتنا ليلة الاربعاء في قطارنا بمعان أيضاً .

يوم الاربعاء في ١٢ جمادى الثانية عام ١٢٢٨ هـ

جرى بنا القطار الساعة الثالثة من صباح الاربعاء . صحبة رفقاءنا من دمشق ، وهم الشيخ شلاش العقيلي النجدي من قرية (بريدة) وقرية الشاب عبد الله النجدي من قرية (الرأس) ، وهما رفيقا نجد ، والشيخ محمد أمين الربو التاجر المدني ، وسليمان بن زيد وأصله نجدي من (قرية حائل) وهما يؤمان البلد الطيب ، وقد صحبنا جنود القزاز ، وهم ثمانية نفر ، ومعهم زاد السفر ، وقد تدججوا بالسلاح ، حماية لانفسهم ولنا من أعراب تلك البطاح ، ولم يتيسر لنا أن نجتاز صحابة ذلك النهار ، أكثر من ثلاث محطات ، تبلغ ٥٥ كم ، وهي من معان (٤٦٤) كم من الشام ، الى غدير الحاج (٤٨٠) كم الى بئر الشدية (٤٩٢) كم الى العقبة (٥١٩) كم ، وكلها مواقف خربة ، عطلتها مدافع الحرب ، وسبب هذا البطء احصاء جسور الخط العامرة

والخربة . وأخذ ارتفاعها . ومعرفة أبعادها . وكذا منشآت الحكومة .
وبيان ما تخرب منها وما يلزم لإصلاحه . وصرفنا نقف عند الجصور
والامكنة الخربة وقوفا طويلا . وحضرة المهندس يفصل القول في مايكتبه
تفصيلا . فأدركنا الغروب في (العقبة) وبتنا فيها ليلة الخميس في ١٣
جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ وقد تعطلت بعض آلات القطار فأصلحها
السائق صباح الخميس .

يوم الخميس في ١٣ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

سار بنا القطار الساعة الثانية صباحا . واجتزنا في هذا النهار أربع
محطات مافتها (٥٦) كم . وهي : وادي الرثم . وتل الشحم .
والرمالات . والمدورة . وقد بتنا ليلة الجمعة في المدورة . وكان سبب
تأخرنا وبطئنا ملاحظة الامكنة المعطلة من جهة . ونقل الرمال عن السكة
من جهة ثانية . وأول هذا الرمل الذي صادفناه في المدورة . وآخره بين
وادي الشحم وبئر هرمانس . على مسافة عشرة كيلومترات من كل منهما .

واقعتنا مع الاعراب من بني عطية

وما نبالي اذا أرواحنا سلمت بما فقدناه من مال ومن نسب

في الساعة السادسة والنصف (وقت الظهيرة) من هذا اليوم الخميس
١٣ جمادى الثانية ١٣٣٨ هـ نفرّ لنا بين تل الشحم والرمالات (٥٥١ —
٥٦٠) كم . فئة قليلة من الاعراب راكبين فوق ظهور الاياف والاباعر .
حاملين البنادق على أكتافهم . والمسدسات والمدي بأيديهم : فوجهوا
سلاحهم أولا نحو رئيس الحركة . وآذنوه بالقتل اذا هو لم يقف .
فوقف قطارد مضطرا .

لم يكد يقف القطار عن الحركة حتى انقضوا علينا منحدرين كالليل
الجارف . والبرق الخاطف . وهم يقولون (وش علومكم . وش عندكم .

حشا ما نبغي غير الذهب) . فقال لهم بعضنا : نحن جماعة من الجنود
والشيوخ نحمل المكاتب من رؤساء العرب . ومن سمو الامير فيصل .
لنوصلها الى سمو الامير علي في المدينة المنورة . من أجل اصلاح الطريق
وتمشية القطار . وحفظ حقوقكم وصركم . وان في ذهاب القطار بين
المدينة المنورة ودمشق — حاملا للمسافرين آمنين مطمئنين فيه على
انفسهم وأموالهم — من التوائد لكم ما لا يخفى عليكم . قال بعضهم
هذا الكلام وباب القطار يحويه رجل منا . وباقي الجنود يتهيؤون بحمل
بنادقهم وسائر سلاحهم للدفاع ، واذا ببعضهم يقول : افسحوا افتحوا
لنرى من في القطار . وأنزلوا حارس الباب عنوة ، وأخذوا الشيخ
شلاش النجدي الى مكان بعيد ، ودار بينه وبين بعضهم حديث ، وتسلق
بعض عفارياتهم سطح القطار ، وكسر توافذ الزجاج ودخل شاهر السلاح ،
وكسر الآخر زجاج النافذة الشمالية ودخل . ثم هجم آخرون من الباب
وبأيديهم المسدسات والمدى . فقال لهم أحد الجنود : يا بني عطية :
ستندمون على هذا العمل . وستحرمون حقكم في المستقبل . ولكنهم
أخذوا يسلبون بلا مبالاة ، ويختارون ما خف حمله ، وغلا ثمنه . بحال
مخيفة مرعبة ، ووجوه وأزياء تقشعر منها الابدان ، وساعة رهبة تشيب
لهولها الولدان . ووجدوا معنا شيخا ضعيفا من عرب (عنزة) فقال
بعضهم بصوت عال : (حامد) وقال الآخر : حامد بن عبدالله فقالوا : اقتلوه .
فصوب بعضهم البندقية لقتله ، ومدء الآخر المديعة لذبحه . قلت (أنا) :
يا قوم لا تقتلوه . قال لهم هو : يا قوم اني رجل مريض فدعوني
لا تقتلوني . وليس لكم ثأر عندي . ثم سلبوه اثنين وأربعين جنيهها ذهباً
انكليزيا ، وأربعة وتسعين مجيديا . وشبرية ، ومجزوم بارود
وحق (ذهبة) مجيدي ٢ ونصف ، وثلاث عبي (٠٠ مجيدي) ، وعقال عدد ١٠ ،
وثوبين باليين .

وانبعث الي شقي منهم فسلبني أربعين جنيهًا عثمانيا ذهباً ، وعددا من المجدييات ، وتقودا صغيرة ، ولم يبقوا عندي شيئاً من النقود لا فضة ولا ذهباً ، وسلبوني عباءتي وعقالتي وجبتي وقنبازي وجاكيتي وزناري ، ولم يبقوا على بدني غير السروال والقميص والصدرية ، وأصابني من جراء ذلك برد شديد ، وآلم في معدتي عظيم ، وعاود سلمي ثلاث مرات ، وأحدهم كان يهوي بالمدينة علي يحاول بها قتلي ، ويقول لي أين الذهب ؟ يريد بذلك اخباره عن مقدار ذهبي وذهب غيري حتى يتم لهم أخذه بسهولة . قلت لهم أنا ما معناه : هذه أول مرة حللنا فيها أرضكم يا بني عطية ، وكنا نظن أن ايقافكم للقطار بهذه السرعة . من أجل اكرامنا ، وانزلنا ضيوفا عندكم كما هي عادة العرب الكرام . ولكنكم أوسعتمونا سلباً ونهباً . واهانة وسباً ، فخيتتم رجاءنا فيكم ، وتتركتمونا لا زاد ولا طعام ولا تقود ، وبيننا وبين الجهات التي تقصدها أيام ، فآين الكرم ، والإباء والشمم . أهذه هي عادة العرب الكرام ؟ ألا وانكم ستندمون على ما فعلتم بنا . « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » ولكن أولئك السفهاء الجهال ، كانوا من الذين يعبدون الدرهم والدينار ، فلم يردوا لي غير الجبة والزنار !

ما سلبوه من رفاقنا في الرحلة

- ١ — الشيخ شلاش النجدي : مائة ليرة ذهبية ، فروة شمينة : قنبازان .
بندقية ، مجزء مملوء خراطيش ، شداد .
- ٢ — الشيخ محمد امين المدني : ثلاثمائة جنيه ورقاً ، وأمانات وغيرها بمقدار مائتي جنيه .
- ٣ — الشاب عبد الله النجدي : عباءة ، قنباز ، حذاء ، ثوب جديد غير مخيط ، عقالان ، ٣ قمصان ، لباسان . وواحد وعشرون مجيدي .
- ٤ — سليمان النجدي من حائل : سدس انكليزي : ٦ دلال قهوة

كبيرة نحاس . ستون مجيديا ، خرطوش (عشرون مشطا) عباءة ،
عمامتان . ثوب . عقال .

ما سلبوه من أصحابنا جنود اسماعيل بك القزاز

١ — عبد الله كلش الضابط المكي ٣ بدلات عسكرية ، قميصان من
المضام ، صوف ٢ ، عمامة روز ٢ ، حرام أسود ، ٣ سراويل ، ١٣ جنيها
من الذهب الانكليزي ، نصف جنيه مصري . عقال ، حذاء (بيتون)
جديد ، جوارب زوج عدد ٢ (٣٢) مجيديا أمانة ، تنكة سمن أمانة
الجندي ، دخان عدد ٢

٢ — الوكيل بشير حسن المكي : ٦ جنيها انكليزية ذهباً ، عباءة
كبيسة ، عقال . ٦ أثواب زرق ، ٥ عراقيات ، قمصان ، ٧ سراويل .
٣ — العريف حسن جيني النابلسي : عباءة أميرية ، عقال ، كبود ،
انكليزي ، سترة وبنطال ، ٣ جنيها انكليزية .

٤ — الجندي اسكندر الكردي : ليرتان عثمانيتان ذهباً ، كبود
انكليزي ، بطانيتان ، كمر شامي ، كفية سوداء .

٥ — الجندي سليم الشامي : ٣ جنيها انكليزية ذهباً ، ٦ مجيديات ،
عباءة انكليزية ، معطف (كبود) انكليزي ، بنطلون وسترة ، بطانية ،
حطة ، عقال .

٦ — الجندي أحمد المغربي : كبود انكليزي ، عباءة عسكرية ،
بطانيتان ، عراقيتان (قميصان) ، ثوبان أزرقان ، ٣ سراويل ، حرام
بلاس .

٧ — الجندي محمد نجم : ٧ قمصان ، ٤ سراويل ، ثوبان من الخام ،
٣ حزامات مشكلة ، ٣ طاقيات ، حزام ، ١٩ مشطا خرطوشا ، كمر قطن ،
كبود ، ليرة عثمانية ذهباً ، ٥ ليرات انكليزية ذهباً ، معطف وسروال ،
(سترة وبنطلون) .

٨ — الجندي حسن الشامي : بدلة ، كبود ، بطانية .

- ٩ — داود ضابط الرهط الثالث : لحاف ، ٣ بطانيات ، كفتان ، حذاء
(كندرة) ، ١٧ جنيها افرنجيا ، نصف جنيه ورقا ، بدلتان ، قامش ،
تنكة سمن ، مشلح ، عقال ، ٤ سراويل ، ٤ ثياب •
١٠ — الجندي حسن كلّسلي بن سليمان : ٣ جنيها انكليزية
ذهبا ، كبود انكليزي ، مشلح ، ٣ أثواب •
١١ — الجندي حنفي علي عيتابي : عباءة ، مشلح ، بطانية ، جنيهان
انكليزيان ، ٤ مجيديات •
١٢ — الجندي أمين علي الهندي : ٥ جنيها انكليزية ، ثوب ،
قميص ، أغراض أميرية ، خرطوش •

وتقدر خسائر حضرة المهندس وسائر الموظفين بمئة جنيه على
الأقل ، عوض الله المصابين خيرا ، وعلى الظالمين من الله
ما يستحقون •

وعميد هذه العصاة الظالمة (محمد بن دغيمان من السبوت) ،
(وسليمان من جماعة حمود بن فرحان) كما أخبرنا بذلك خوينا حامد
العنزي • ومن غريب أمر هذه الفئة الشقية أن سالب رفيقنا (شلاش)
منها ، هو الذي للشيخ شلاش عليه اليد البيضاء ، فقد أخرجه من
السجن مرتين •

وما أكثر نزول هؤلاء الارذال عند القزاز ضيوفا ، وجنود القزاز
أصحابنا هم الذين يقدمون لهم الطعام ويقومون بخدمتهم ، وهم
يعرفونهم فردا فردا ، ومن اصحابنا الجنود من أقام عندهم أولئك القروود
مددا طويلا ، اشتغلوا عندهم بها رعاة وخداما •

فيا الله من هؤلاء اللئام ، ما أفسد ودهم ، وما أنقض عهدهم ، وما أشد
غدرهم وكيدهم ، ساق الله لهم من جنوده من يرغم أنوفهم ، ويخضع
شياطينهم ، وما هو من الظالين ببعيد •

يوم الجمعة في ١٤ جمادى الثانية عام ١٢٢٨ هـ

مشينا صباح الجمعة من المدوارة ٣ محطات ، وهي حارة العمارة ذات الحج . بئر هرماس ، ومسافتها (٦٠) كم (٥٧٧ - ٦٣٧) وسبب هذا البطء شغلنا بازاحة الرمل عن طريق السكة ، وما أكثره ثم .

يوم السبت في ١٥ جمادى الثانية عام ١٢٢٨ هـ

توجهنا صباح السبت الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة عشرة من بئر هرماس ، فقطعنا بسرعة زائدة الحزم ، والمحطب ، ووصلنا (تبوك) بسلام الساعة السادسة ، وابتاع لنا الشيخ شلاش منها عباءة ، واجتمعنا فيها بصديقنا الشيخ عبد القادر النوشاهري ، وهو مدير تلك الناحية ، وقد تناولنا طعام الغداء (رزا ولحما ويقطينا) في دار (جليوي) أحد أجواد (تبوك) وكان المدعوون أكثر من خمسين رجلا . ثم طلفنا (تبوك) مع صديقنا (النوشاهري) فاذا شجرها النخيل ، ويقدر بنحو ثلاثة آلاف شجرة على أقل تقدير . وفيها قليل من شجر الدراق ، والليمون الحلو ، والعنب ، والتين . وأهلها أهل بادية ، ورأينا العين التي زادت ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ، وشربنا من مائها العذب ، ونظرنا قلعتها التي بناها السلطان سليم ، وجددها السلطان محمد سنة ١٠٦٤ ، وهي قلعة مبنية بالحجر ، تبلغ مسافتها نحو أربعين ذراعا في أربعين طولاً وعرضاً ، وفيها حُجَرٌ وغرف صغيرة مهيبة . وفيها مدفعا قديمان يقال انهما من زمن السلطان سليم ، وقد أصلحهما الترك أيام الحرب ، وأدينا في مسجدتها صلاة الظهر مؤتمنين بالإمام الشيخ عبد القادر ، أنا ورجلان آخران ورأينا فيها اثنين من جنود المدينة المنورة ، بعثهما على الفرار الشوق لأهلها في سورية ، والقلة والجوع في الجندية شأن العشرات الفارين من ثم . المنقطعين على الطريق ،

حبنا الله ونعم الوكيل • وشعرنا من (تبوك) بتغير الطقس ، وشدة
الحر • وتوجهنا منها باسم الله قاصدين الحجر (مدائن صالح) الساعة
الثامنة والنصف بعد الظهر ، فقطعنا باقي النهار (٦٠) كم من (٦٩٧ -
٧٥٧) وبلغنا (المستبقة) الساعة الحادية عشرة والنصف مساء وهي
من حدود بني عطية ، فان أول حدهم (القترانة) وآخرها (المعظم)
قبل (الحجر) وقد أنشدنا ليلة الأحد في (المستبقة) بقطارنا :

وليل قضيناها بأرض عطية بقرب من الأعداء، قُبِّح من ليل
طوينا بذلك الحي ليلة خائف نهدد فيها بالثبور وبالويل
فلما بدا وجه الصباح جرى بنا الـ قطار بهاتيك الأباطح كالسيل

يوم الأحد في ١٦ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ الى ٢١ منها

تحرك بنا القطار الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والأربعين
من صباح الأحد ، ووصلنا (الاخضر) الساعة الثالثة ، وقرأنا على
حجر هناك أن السلطان سليم جدد بناء (القلعة) في شوال سنة ٩٣٨
وهي في غرب (الاخضر) ووصلنا بحوله تعالى وحده (المعظم) آخر
حدود بني عطية الساعة الخامسة صباحا ، ودخلنا في حدود (عرب بلي)
وشيخهم (حمد بو شامة) فنسأل الله السلامة • وقد رأينا في هذه المحطة
دوائر الحكومة ، فاذا بها خمس منها ، وفي كل دار عدة حُجَر ،
وأرضها من المرمر ، ولم تزل منها يد التخريب والتدمير ما نالت من
غيرها في سائر المحطات ، التي يقدر ما ضاع فيها بمئات الألوف من
الجنهات ، فاللهم ألهم المسلمين صبرا ، وعوضهم عن أموالهم خيرا •

الساعة الثانية الرهبة

من لدغته حية مرة أصبح مذعورا من الجبل !

دخل الخوف القلوب ، واستولى الرعب على النفوس : وصرنا
نظن بتأثير الوهم الجبال جمالا ، والغزال غزوا : والجنود من الهنود
الفارين ، بعض اولئك الناهيين السالين ، واليك مثالا مما اتفق لنا من
ذلك :

لم نكد تعدى المعظم الى (خشم صنعا) مسافة (٢٦) كم
(٨٣٢ - ٨٥٨) حتى جاءتنا الاخبار ، بأن الاعراب قد أناخوا على
جانب السكة في (دار الحمراء) على مسافة (٢٧) كم منا ، فقلنا حسبا
الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

فجری بنا القطار سريعا ، وطفق ينهب المفاوز نهبا ، ولكنه لم يجز
بضعة كيلومترات ، وبعض الجنود فوق سطح القطار ، لينظروا من ينحدر
الينا من قمم الجبال ، أو يظهر لنا من وراء الآكام والرمال ، أو يخرج
من بطون الاودية والاوکار ، حتى أرسل المهندس الى الشيخ شلاش
يقول : نرى عن بعد رجالا قريين من السكة ، ونرى آثار أقدام
مواشيهم ، فهل نوقف القطار ، أو نستمر على تسييره ؟ فأجابه الشيخ
شلاش بأننا لا نؤخذ ثانية على غرة ، كما جرى لنا في تلك المرة ، فالأولى
أن نوقف القطار ونخيفهم بكدنا وعثدنا ، فخرج الجنود شاكي
السلاح ، وصعدوا سطح القطار مستعدين للكفاح ، وطفقوا ينشدون
السراب البعيد ، وينادون العدو الذي لا يسمع ولا يجيب ، وقد كثر
الضحيج والنداء ، وطبقوا به أرجاء الفضاء ، حتى ظننا أنا توسطنا
جمعا من الاعداء ، ثم مشى بنا القطار على هذه الحال ، من الرجيف
والوجيف ، واللفظ والصريخ ، حتى بلغنا دار الحمراء ، وحمدنا الله
تعالى على السلامة .

وأقبل علينا هناك بدوي يرعى إبل عرب عنزة ، فطفق قومنا يسألونه
عن مواطن العرب ، وهل هم في بعد عنا أو قرب ، وقد عرفه خوينا حامد

ابن عبد الله ، وبعد العناق والتقبيل ، أخبره خويننا الخبر ، وقص عليه القصص . ثم أرسل لنا الشيخ شلاش يقول : هنا نلقي عصا التسيار ، وننزل نحن ومتاعنا من القطار ، فنزلنا وأنا ثالث الرفيقين (شلاش وقرية عبد الله) في هاتيك الأرض المترامية الأطراف القفراء ، وودعنا الجنود وسائر الاخوان بالبكاء ، وكل منا يدعو لصاحبه بالسلامة ، وجرى القطار بهم قاصدا المدينة المنورة ، واستأجر الشيخ شلاش من راعي الإبل جملا لحمل أثقالنا الى حضرة الشيخ سلطان الفقير العربي السنخي ، شيخ عرب (عنزة) الذي هو على مسافة ثلاث ساعات من دار الحمراء ، من جهة الشرق الشمالي ، ودفع له أجرة جملة ليرة ذهبا ، وزاده مجيدين اكراما له ، فطابت نفسه ، وتهلل وجهه ، وسقانا من حليب ناقته ، ومشى الجمل أمامنا وجرينا نحن وراءه في جبال منفصلة بعضها عن بعض ، على أشكال مختلفة ، وهي ناصبة مائلة مختلفة الحجم ، طلعا كأنه رؤوس الشياطين ، ولكن حصباء تلك الأرض تقية جدا ، وكأنها الدر ، بين أبيض وأحمر ، وأسود وأخضر ، وأرضها كلها ذات رمال ، بين هاتيك الجبال . ولم نزل نجد في سيرنا حتى بلغنا منزل الشيخ بعد الغروب ، ومعنا رفيقنا حامد العنزي ، فاستقبلنا الشيخ بالمصافحة ، وللشيخ شلاش بالتقبيل والمعانقة ، وسلامهم لطيف بسيط مشتمل على العناق والتقبيل ، وينادي بعضهم بعضا بالاسماء مجردة عن الكنى والالقاب ، وقد سلم أحد صبيانهم على حامد الشيخ الذي يناهز السبعين ، بقوله : كيف أنت يا حامد ، عساك طيب يا حامد . وفي نحو الساعة الثالثة ليلا قدم لنا الشيخ الطعام من الرز واللحم ، والطعام كان كثيرا جدا ، وقد أكل منه من لا أحصيهم عددا ، فحيا الله الكريم العربي .

وهذه القبيلة ديّنة ، وقد أدينا مع كثير منهم صلاة العشاء ، وشيخهم سلطان الذي هو عميدهم يخاف من الله عز وجل ، ويجب أهل

العلم والفضل ، وقد سرّ مني كثيرا ، والتمسوا مني أن أكون عندهم
خفييا ، على أن يقدم لي كل ما يلزم ، ويعاملوني كما يعامل أهل العلم .
ويزوجوني بنتا من كرائم بناتهم . فشكرت فضلهم وشهامتهم .
واعذرت لهم بأبي خطيب ومدرس في الشام . وبأن خطيتي هناك
قريبتي . وأقمنا عند الشيخ وفي ضيافته خمسة أيام ، مشمولين بالخير
والإنعام . وسررنا هناك بقاء الشيخ حمد ربيع التاجر النجدي ، وكنا
نكثر من التردد الى خيمته . وكان يحبني ويكرم وفادتي كل مرة ،
وأكثر هناك من الوعظ والارشاد ، والدعوة الى الاتحاد ، ونزع
الضغائن والاختلاف ، وأبنت لهم سوء نيات الأجانب نحو المسلمين عامة ،
والعرب خاصة ، فتحمسوا ودعوا بالنصر والفتح المبين ، للإسلام
والمسلمين .

(سلمنا الشيخ حمد ربيع مكتوبا ليوصله الى أهلنا في الشام ،
وتركنا عند الشيخ سلطان صندوق الثياب ليقى عنده أمانة الى رجوعنا
فنستلمه ان شاء الله) .

يوم الجمعة في ٢٢ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

وفي صباح هذا اليوم ودعنا الشيخ سلطان ، ومعنا (خويّان)
متجهين جهة الشرق ، على ظهور الإبل ، وعند الغروب وصلنا أرض
أخيه متعب شيخ (الإخوان) الذين لا يشربون الدخان ، وتناولنا طعام
المساء عند الشيخ التيهي ، وقد تبادلنا البحث معه في مسائل الإسلام
والإيمان ، وكيفية دعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، وحكم استعمال
الدخان ، والهجرة من أرض الكفر الى أرض الإيمان ، وامتدت المذاكرة
بيننا الى الساعة الثامنة ليلا ، وقد تفاهمنا في كل هذه الأبحاث ، والشيخ
متعب كان اذا رأى أن الصواب في جانبي يرجع اليه ، وقد ودعناهم
صباح (السبت في ٢٣ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ) .

الساعة الثالثة المشؤومة

وصرت اذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

ركبنا صباح هذا اليوم وأخذنا في السير جهة الشرق ، وبعد الظهر هبطنا واديا وجلسنا فيه حصة لطيفة للراحة ، ولم نكد نركب الإبل حتى انقض علينا من سفح الجبل ستة من العبيد السود ، راكبين الخيل ، مزنرين بأمشاط الخرطوش وعلى أكتافهم البنادق ، فلما دنوا منا حملوا البنادق بأيديهم ، وفي أثناء ذاك الطراد واللاحق انبعث أشقاهم الي ، ووجهه بندقيته نحوي ، محاولا قتلي ، فنزلت بسرعة عن جملي ، ثم جالوا جولة حولنا ، وأخذوا بأطرافنا محاولين سلبنا ، ووقع بصر رفيقنا شلاش على عميدهم ، فقال له رفيقنا : أجتثم لأخذنا أم لدعوتنا وان غدانا اليوم عند عمك (هابس الهزاع) فالتفت ذاك الى جماعته وقال لهم : (عثرف يا عيال) ثم استلم بعضهم بعضا عناقا وتقبيلا ، وجلسوا حلقة مستديرة (يتناشدون العلوم) وجلست أنا في ناحية منفردا ، ثم ركبوا وركبنا ، وشرقوا وغربنا ، واجتمعنا هناك برجل يقال له (صالح) من عرب (هتيم) قد شهد الحالة ، فهأنني وقال لي : كل صدفة بسلامة يا خطيب ، فقلت في نفسي : لا أكثر الله من أمثال هذه الصدف ، وقال آخر : لولا المعرفة لأخذنا ، وقال آخر : الحمد لله على نجاتك منهم ، وقد وقاك الله شرهم ، فقلت له : ولماذا قصدوني قصدا خاصا ، وماذا كانوا يريدون أن يفعلوا بي ، فقال : انهم كانوا يحاولون قتلك ، أو لم تنظر كيف مدء كبيرهم البندقية عليك ، فقلت : يا سبحان الله ولماذا ؟ أكان لهم ثأر عندي ، أم لكوني بزي أهل العلم الذي أشرت علي به وهم يابونه ، أم ماذا ؟ فقال بعضهم : ظنوك بعصابتك البيضاء أحد المتدينة ، وأولئك يستجيزون سفك دماء هؤلاء ، وهؤلاء يشأرون لأنفسهم منهم ، فقلت لهم : ألم تشيروا علي أتم بوضع العمامة بعد نزعها وتقولوا إنا قد بلغنا أرض المتدينة ؟ اللهم اني حرت في أمر المتدينة

وختصومهم . ووضع العمامة ونزعها . واللهم اني أبرأ اليك من استحلال
سفك الدماء : بمجرد اختلاف الازياء .. وقال آخر : انهم ظنوك تاجرا
بزي أهل العلم ، فقادهم الى ما حماك الله تعالى منه طمعهم في المال ،
قلت : ولكنهم لم يجدوا مني أدنى صعوبة ولا مقاومة فكان حسبهم أن
يلبوني مالي . ويطلقوا سبلي . قالوا : ان وفرة المال ، تغريهم بقتل
الرجال ، حتى يطمس الأثر : وينعدم الخبر ! قلت الحمد لله الذي لم
أكن موضع ظنهم . ولا هدف سهمهم ، وهو اللطيف الخبير ، وقد كفانا
بنو عطية شر المال ولم يبقوا معنا درهما ولا دينارا ، وكان أصابني تورم
في رجلي من المشي ووجع أليم من الركوب ، وأضيف الى ذلك هذه
الخطوب ، مع تغير الطعام والشراب والنام والاصحاب والمركوب ،
فعظم الامر علي ، وجالت الدموع في عيني ، وأخذتني من الغربة
الوحشة ، ومن هذه الصدف الدهشة ، ونزلنا بعد ساعة عند خويننا
الجديد (صالح) من (هتيم) فاستلقيت على الطراحة ، وجلس العرب
حولنا وهم يسمون ويتكلمون ، وأنا غير شاعر بما يقولون .

يوم الاحد في ٢٤ جمادى الثانية عام ١٢٣٨ هـ الى ٢٦ منها

وفي صباح هذا اليوم ركبنا (مع خويننا صالح) ومعه خوي عنزي
اسمه (سليم) واختار السفر الى نجد (خويننا العنزي سلطان) سمي
شيخهم سلطان الفقير ، وفي مساء اليوم وصلنا أرض الشيخ (سعد)
ابن عم الشيخ سلطان ، وبقينا في ضيافته ثلاثة أيام ، ووجدنا قومه
يقيمون الصلاة ، ويسألون عن أحكام الزكاة كجماعة الشيخ سلطان ،
وهم يسألون عن حكم استعمال الدخان ، ويذكرون تحريم المتدنية له ،
واحراقهم لشاربيه ، وكانت دارت مذاكرة بيني وبين بعض محرميه من
المتدنية المعتدلين الذين لا يشربونه ولا يؤذون على شربه أحدا ،

ويعبدون الله لا يشركون به شيئا . فذكر لي من دلائل تحريمه عنده كونه :
من الإسراف : ومسكرا من الخبائث ، فذكرت له جواب مبيحيه ، وهو
أن الإسراف أمر نسبي غير محدد في الشريعة وان ما يكون اسرافا في
حق انسان ، يعد تقتيرا بالنسبة الى آخر ، فمن تحقق فيه معنى الإسراف
بسبب شرب الدخان فذاك يحرم عليه .

وأما قياسه على الخمر في الإسكار فذاك قياس مع الفارق ، والله
تعالى يقول في الخمر « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل
أنتم منتهون » ، والدخان لم يتحقق فيه وصف من هذه الأوصاف ، فهو
لم يوقع بين شاربيه ولا غيرهم العداوة والبغضاء ولم يصد شاربيه
عن ذكر الله ولا عن الصلاة ، بل في شاربيه العلماء والصالحون ، والقول
بتحريمه قد أوقع بين المسلمين من العداوة والبغضاء أكثر من شربه ،
وأما كونه من الخبائث فهذا غير متفق عليه ، وشاربوه لا يعدونه كذلك ،
على أنه لو ثبت خبثه فما كل خبيث محرم ، وقد ورد أن البصل والثوم
شجرتان خبيثتان ، ولم يقل بتحريمهما أحد ، فتبين أن الخبائث المحرمة
هي المنصوص عليها في مثل قوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم »
الآية . قلت له : ولو سلمنا جدلا أن الدخان محرم كالخمر لكان لك
في تحريم الخمر في كتاب الله عز وجل ما يدعو الى حسن الأسوة ،
والخمر قد ورد النهي عن شربه تدريجا ، فنهي الناس عنه أولا اذا أرادوا
الصلاة ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون » ثم جاء التذكير بمضارّه في قوله :
« إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » ؟ ثم جاء التحريم
القطعي لشربه بعد أن سهل عليهم تركه في قوله تعالى : « إنما الخمر
والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم

تفلحون » ، فانتهى الناس عن شربه وكسروا الدنان التي كانوا يعتقونه بها ، فأنت ترى ان الخمر الذي اشتد ضرره ، وخبث أثره ، قد حرمه الله تعالى ، على يد النبي عليه الصلاة والسلام ، تحريما تدريجيا ، بآيات في القرآن ، جارية على سنته تعالى في تكميل الانسان ، بتصحيح عقائده ، واصلاح أعماله . فلو أنكم جريتم على هذه السنة ، ودعوتهم الى سبيل ربكم بالحكمة والموعظة الحسنة ، لأطفئت بينكم وبين خصومكم هذه الفتنة ، وأسبغ الله عليكم النعمة ، نعمة التأليف المذكورة في قوله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » فتقبل هذه النصيحة بقبول حسن ، وقال انها والحق يقال : غالية الثمن ، قلت : ثمنها العمل بها ، وسترى ان شاء الله حسن أثرها ، وتلذذ باقتطاف ثمرها ان شاء الله تعالى .

ثم قلت : وعندي أن الرأي المناسب بترك الدخان ، هو أن تتفق مع الآباء على منع أولادهم من شربه ، ومنعهم اياهم من مخالطة شاربيه ، فان شرب الدخان ليس ضروريا ولا فطريا للانسان ، وشاربوه يدركون ضرره في أجسامهم وعقولهم وأموالهم أكثر من غيرهم ، ولكن العادة هي التي سهلت شربهم له ، وتمكنت من نفوسهم بطول الزمن . أما أولادهم فليسوا كذلك فلو لوحظوا من قبل المرشدين ، والخطباء ، والآباء ، وذكر لهم ما في التدخين من الضرر والكراهية شرعا وطبعا ، لأصبح أولئك الاطفال يكرهونه أشد الكراهية ، وينهون عن شربه ، ويدعون الى تركه ، وبذلك يبطل شربه أو يخف جدا ، ويقل عدد الشاربين له ، ويكون لكم بذلك ان شاء الله الأجر العظيم ، فأبدى شكره وارتياحه لما قلت ، ووعدني بالعمل ، وفقه الله وإيانا ، لما يحبه ويرضاه .

يوم الاربعاء في ٢٧ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

ثم استأنفنا السير صباح هذا اليوم على بركة الله عز وجل وحسن تيسيره ، فأدركنا المساء عند بعض العرب ولم نصادف بحمد الله شيئاً .

يوم الخميس في ٢٨ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

الساعة الرابعة المشؤومة

ثم استأنفنا السير صباح هذا اليوم ، وفي وقت الظهر ، أطلق علينا بعض الاعراب الرصاص من وراء جبل ، فانطلق (خوينا صالح الهتمي) نحوهم يلوّح لهم بطرف عباءته ويصفر لهم (اشارة الى أنهم أصحاب) ثم أطلقوا علينا الرصاص المرة الثانية والثالثة ، واشتد الامر ، وخشينا الضرر ، فانطلق (خوينا سلطان العنزي) بناقته حتى وصل قريباً من صخرة كبيرة ، فأناخ عندها ، وحمل بندقيته ، ووجهها عليهم يحاول رميهم ، فنهيناه ، وناداه بعض أصحابنا أن لا يفعل ، ثم جاء (خوينا الهتمي) بعد مذاكرة معهم ، وقد نجانا الله تعالى منهم .

خلاصة احوالنا من ١٦ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ الى ٣ رجب الفرد ١٣٣٨

طعامنا : إما أرز وفوقه لحم مطبوخ على أصول البدو ، أو أرز وحده والسمن المزيج باللبن يضعونه ياناء فوق الدست الكبير ، ثم يستديرون حول الدست ويجلسون في الغالب القرفصاء . وتمتد الايدي العامرة المشمرة الى المرافق الى الارز ، ويأخذون منه ملء الكف والاصابع ، ثم يرصونه رصاً محكماً حتى يصير كالقنابل اليدوية : ثم يمدون الاصابع التي تحمل الارز الى وعاء السمن فيغمسونه بها ، ثم يخرجونه ويأكلونه هنيئاً . ويشربون بعد الطعام حليب النوق بوعاء

كبير مريثا . وكنت حملت معي ملعقة من الشام . فأضاعها أحد رفقاتنا في الطريق أيام ركوبنا في القطار . فأهداني الشيخ سلطان الفقير شيخ عنزة ملعقة من نحاس ، وأخرى لآكل بإحداهما ، فإذا ضاعت أكلت بالثانية ، وأهديته بيت أقلام وفيه أقلام (مراسم) . وورقا وظروفا . ثم أضاع إحدى الملعقتين رفيقنا ، ومنعني الأكل بالثانية : وقال : لا يجوز أن تأكل بالملعقة بعد اليوم ، حتى نرجع من نجد ، قلت : ولماذا ؟ قال : أما العرب من أهل البادية فيظنون أنك جاسوس من قبل الانكليز . فضحكت كثيرا ، وقلت له : الأكل بالملاعق وغيرها عادة أكثر أهل الحضرة ، وليست من خصائص الانكليز ولا غيرهم من أمم الغرب ، وللجاسوس علائم وأمارات يعرف بها غير الأكل بالملعقة ، فأني ارتباط ومناسبة بين الأكل بالملعقة وهذه التهمة ؟ قال : هم لا يفهمون غير هذا ؟ قلت له : فهمنا حال البداوة ، فما بال الحضريين ينكرون ؟ قال : أولئك يعدون الأكل بغير الكف والأصابع بدعة ، قلت : البدعة المذمومة في الشرع ، هي التي تحل محل السنة وتبطلها ، والسنن ما كانت من جنس المفروضات والواجبات ، كما ترى في سنن الوضوء والصلاة والصيام مثلا ، وما يظهر فيه معنى الذكر والعبادة ويتقرب به الى الله عز وجل ، أما وسائل الطعام والشراب ، فليست من هذا الباب ، وهي تختلف باختلاف البلاد والمباد ، ألا ترى أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يأكل مما يليه ، وفي هذا من الأدب ما لا يخفى ، ولو كانت الملاعق في بلاده عليه الصلاة والسلام ونهى عن الأكل بها ، وآثر الأكل باليد عليها لثم لهم ما يريدون ، ولكن كل ذلك لم يكن ، والمعقول أنها لو كانت في بلد النبي صلى الله عليه وسلم لاستعملها ، لأنها أقرب الى آداب الطعام التي كان يرمي اليها ، والى النظافة التي كان يحث عليها .

عود الى وصف الطعام والمنام والركوب

قلنا ان طعامنا في مدة ثمانية عشر يوما إما أرز مع اللحم ، أو

الأرز وحده ، أو التمر ، أو حليب النوق وحده . والتمر وحده هو زادنا حيث لم نجد العرب ، وحليب النوق هو الذي نصطح به عندهم ثم نبقى عليه الى المساء أحيانا ، أما الخبز فلا أثر له هناك ، وأما الشراب فهو من ماء رملي وسخ جدا ، وهو الذي كانوا يطبخون به الطعام ، فيقع الرمل فيه تحت أسناننا وأضراسنا ، ولو كنا في الشام ، لأصابنا منه مرض عظيم ، ولكن المولى لطيف خير . وقد كنا نقيم كل هذه المدة لعدم تيسر الماء ونصلي جماعة على التراب . وكنت أقصر الصلاة دائما ، وأجمع جمع تقديم وتأخير عند الضرورة ، وأما المركوب فظهور الإبل التي تحمل أثقالنا الى بلد لم نكن بالغيه الا بشق الانفس . وقد اعتدنا ركوبها وسهل علينا بالتمرن والعادة ، وصرنا نعبد الراحة في ذلك بعد الآلام التي قاسيناها ، فالحمد لله رب العالمين .

وقد ظللنا نركب الإبل خمسة عشر يوما . تسعة أيام من عند الشيخ سلطان الفقير الى قرية الحائط ، وستة أيام من قرية الحائط الى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام كما سيأتي بيانه .

وأما النوم فعلى الارض تحت الخيام أو تحت السماء ، والعرب ليس عندها للضيف الا الطعام والقهوة ، وينام الانسان والى جانبه الجمال التي تأكل طول الليل ، وكذا الغنم والماعز والكلاب التي تنبح فيظن النائم أن العدو يحاول قتل الرجال ، وسلب الاموال ، والاهواء العاصفة التي تخفق طول الليل فتصم الآذان ، ويرحم الله القائلة :

ليت تخفق الأرواح فيه أحب الي من قصر منيف

ما أعجب حكمها ، ولكني أعود فأقول : لا عجب في حكمها لأنها لم تحكم حكما عاما ، على أن البداوة خير من الحضرة ، ولكنها قالت (أحب الي) وهي معذورة في ذلك لأنها بدوية الأصل والمنشأ ، والعادة حببت اليها ذلك ، كما أني أؤثر الحضرة ، لان التربية الحضرية مالت بي

اليه . وكم من أهل الحضر من مدح حال البداوة وأثنى عليها . وبالعكس ،
والحق أن في كل مزايا وخواص لا تنكر . وليس هنا موضع تفصيلها .
ثم ان البرد هناك شديد جدا ، والعرب تقول : منع البرد البرد
(أي منعت البرودة النوم) وكان حالنا كما قال الشاعر : (ما أذوق المنام
إلا غرارا) . ولكن من رحمة الله بي أنه كان معي الحرام والمخدة
والطراحة التي كنت أجد بها عظيم النعمة والراحة ، ولولا الثياب التي
بقيت عندي بعد السلب ، وأدوات النوم التي رأوها وسلمها المولى منهم ،
لكنت في أسوأ حال ، فالحمد لله الخبير المتعال .

وأما الحوادث والنوادر والفظائع أثناء الطريق ، ففي الوقائع التي
حدثت لأهل البداوة في غزو بعضهم لبعض وهم يقولون : هنا ذبح
فلان ، وهناك قتل فلان ، وهناك أخذ حلال فلان ، ولم أسمع في طول
تلك الأيام الا الحوادث الفظيعة وما أشبهها ، والا أناشيد التي
لا أفهمها ، ولم أتكلم مدة سفري معهم الا بمقدار ما تلجئني اليه
الضرورة ، وفي كل يوم كان يشتد بنا الخطر ، ويزداد ضيق الصدر ،
ولا ندري متى يوافينا الأجل ؟ ولا كيف يكون القتل ، وكل يوم كنت
أتلو فيه قوله تعالى : « وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري
نفس بأي أرض تموت » .

وما زلت على هذه الحال ، وأنا صابر ثابت صامت ، حتى بلغنا
(قرية الحائط) يوم الثلاثاء في ٤ رجب الفرد عام ١٣٣٨ .

نبذة من أخبار المدينة

لم يتفق لنا أن نزلنا عند عرب في مدة ثمانية عشر يوما : (من ١٦
جمادى الثانية الى ٣ رجب) إلا وقصوا علينا نبذة من أخبار المدينة ،
حتى وصلنا قرية (الحائط) وهي في شمال المدينة المنورة على مسافة

أربع مراحل منها ، وهنالك مجمع أخبارهم ، ومشهد آثارهم . وخلاصة ما اتصل بنا من أمرهم أن بعض وعاظ نجد ومرشديهم انبثوا في بعض القبائل والعشائر الحجازية ، وطلقوا يدعونهم الى الله ويعلمونهم أحكام الصلاة والزكاة وينهونهم عن الغزو وأكل الحرام . فاستجاب لهم بعض القبائل كبني سالم ، وكالشيخ متعب (والشيخ من غزوة) مع طائفة من قومها فحسنت حالهم ، وصاروا يقيمون الصلاة . ويؤتون الزكاة ، وتركوا الغزو والسلب ، وجلبوا كتباً في التوحيد والفقه من نجد يتعلمون بها أحكام دينهم . ثم تبعهم بعض العشائر (كمطير ، وعثينة وحرب وغيرهم) فباعوا إبلهم وغنمهم ومعزهم . وبنوا القرى من أجل أن يتحضرُوا ويتفرغوا لعبادة ربهم ، وقالوا ان في اقتناء الوبر مشغلة عن طاعة الله عز وجل ، ثم اشتدت حاجتهم اليها لعدم وجود ما يغنيهم عنها ، وقد كانوا من قبل مولعين بالغزو ، وأشربوا في قلوبهم حب الأكل منه ، فراحوا يغزون تحت اسم (الإسلام) وسوا أنفسهم (المتدينة) (والإخوان) . وهم يعطون عميدهم من الغنائم الخمس ، وهو يحمي ظهرهم . ويشد أزرهم ، ويقسم الغنائم بينهم . ويبنون لهم القرى ، ويعمر لهم فيها المساجد ، وقد سمعت أن قراهم الآن قد بلغت الخمسين ، وأنهم صاروا يقاربون أعداد خصومهم . وقد انتشروا ألوفاً مؤلفة بين نجد والحجاز ، ويمتازون من خصومهم بقوة البأس ، وشدة المراس ، والقلوب القوية التي لا يجد الخوف اليها سبيلاً ، وهم ينقضون على خصومهم بسيوفهم اللامعة ، كالرعد القاصف ، والبرق الخاطف ، والسيل الجارف ، واذا غدوا من أهلهم قالوا لهم : سلوا الله لنا الشهادة . فيفعلون .

وهم يضربون الرقاب ويتمسحون بدماء القتلى زيادة في اغتنام الاجر والثواب !!

وهم طوائف مؤلفة من أكثر العشائر البدوية الجهال : ما كانوا

يدرون ما الكتاب ولا الإيمان ، وهم قد قرروا الجهاد ، حتى يفنوا عن آخرهم أو يفنوا خصومهم ، ويرثوا أرضهم وديارهم وأموالهم ، وقد اتسعت دائرة نزالهم ، وامتدت ساحة قتالهم ، حتى بلغت أطراف المدينة المنورة حماها الله تعالى وصانها فهم يهاجمون العرب في تلك الجهات ، ويرجعون منها بالغنائم ، وهم يجدثون في هذه السيل ، ولا يرجعون من حرب الابين قاتل وقتيل •

(نعود الى ما كنا فيه) قلنا : إنا بلغنا قرية الحائط يوم الثلاثاء في ٤ رجب الحرام عام ١٣٣٨ ، دخلناها وتناولنا طعام الغداء عند حاكمها الشريف عبد المطلب بن غالب ، وطعام العشاء عند الشيخ خلف بن جابر أحد شيوخها ، وأشار علينا جميع من اجتمعنا بهم بأن لا نتجاوزها الى نجد ، وأن لا نخطو قدما واحدة من بعد ، وقالوا ان الخطر على حياتي (بالمائة تسعون) وقال رفيقنا الشيخ شلاش : أنا لا آمن عليك من شر المتدينة ، وأنا لست كهيتك ، أنا نجدي ، وأنت من أهل الشمال ، وهم يكفرونهم ويكفرون حكاهم ، ويستحلون دماءهم وأموالهم ، ويتقربون بقتلهم الى الله ، وأنا أؤدي الأمانة بتمامها ، وآتيك بجوابها ، فقبلنا النصيحة ، وآثرنا ذلك على أن نقتل شر قتلة ، بتلك الأيدي الجائرة الأثيمة ، وكتبنا كتابا نعتذر به عن عدم الوصول وفي ضمنه الأمانة والمذكرات ، ولم نترك شيئا مهما الا ذكرناه ، وعسى أن يكون الجواب ان شاء الله وافيا بالمقصود ، شافيا لما في الصدور ، ثم ودعنا الأخ شلاش ورفيقنا الشاب النشيط عبد الله صباح يوم الأربعاء بالدموع ، سهّل المولى عليهما ، وأنجح مقاصدهما آمين •

قرية الحائط

قرية الحائط واقعة في شمال المدينة المنورة على أربع مراحل منها ، وهي ذات نخيل كثير وفيها عيون عذبة ، وأهلها قوم كرام ، وهم فيما

بينهم على اتفاق تام ، وقد كانت هذه القرية في الأصل لعرب عنزة . ثم امتلكها منهم ابن الرشيد : بعد حرب ظفر فيها : وعامل أهل الحائط على نخلها ، على أن يكون ثمره بينه وبينهم مناصفة . ثم استقلسوا بأنفسهم ، فعاربهم منذ سنين وحاول استردادها منهم فلم يفلح : وفي أول الثورة العربية طلبوا شريفا ليكون حاكما عليهم فأرسل اليهم ، وجلالة ملك الحجاز يأخذ منهم زكاة الثمار العشر فقط ، ولا تزال تتجاذبها أنظار الطامعين ، من ابن الرشيد والمتدينين ، وهم لا يرغبون غير حكم الشريف ، ومستعدون لقتال من يبغي عليهم .

قضيت في هذه القرية ثمانية أيام ، وكنت ضيف شريفها الشاب الأديب عبد المطلب ، ورفيقه المذهب النجيب الشريف حميد ، وكنت أنام عند خطيبها الصالح البركة الشيخ مبروك النجدي ، ونقرأ معه بعد العشاء وبعد صلاة الفجر وأثناء النهار أيضا ، دروسا في الحديث والفرائض والنحو والصرف ، وقد ألقيت يوم الجمعة بعد أداء الفريضة في جامعها درسا عاما ، فشرت فيه قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ... الى قوله تعالى : « والى الله ترجع الأمور » فظهر الخشوع ، وسالت الدموع ، واستلموا بعد الدروس يدي مصافحة ولثما .

من يوم الثلاثاء ٤ رجب الى يوم الثلاثاء في ١١ رجب عام ١٣٣٨ هـ

بذلت المجهود ، وأرخصت النفس والنفس في سبيل الوصول الى نجد ، والرجوع عن طريق المدينة المنورة ، فحالت الأقدار بيني وبين نجد ، وتيسر لي السفر الى المدينة تيسرا عجيبا ، فصدق فينا المثل : « أردت عمرا وأراد الله خارجة » ، اذ أردنا نجدا وأراد الله الحجاز ، واليك البيان :

لما اضطررت للبقاء في قرية الحائط منتظرا رفيقي الاخ شلاش
اشتد شوقي لشدة الرحل الى المسجد النبوي . والحظوة بشرف الزيارة
المباركة ، وأداء الصلاة في تلك الروضة المطهرة بين البيت والمنبر التي
هي من رياض الجنة ، وكنت كلما تذكرت أن صلاة في مسجده عليه
الصلاة والسلام أفضل من ألف في غيره إلا المسجد الحرام : هزني
الشوق وازدادت عوامل الرغبة .

وكنت أسأل الله أن يسر لي سبيل الوصول والزيارة ، ولم أكد
ألبث هنالك أياما حتى عرض لشيخوخة (الحائط) الكرام السفر الى
مدينة النبي عليه الصلاة والسلام ، وهم : الشيخ الجليل مقبل ، والشيخ
خلف بن جابر ، والشيخ علي بن سليمان ، وحضرة الخطيب الشيخ
مبروك ، ومعهم نحو خمسة عشر رجلا ، ففقدت النية على السفر معهم ،
وارتاحوا هم لذلك جدا ، وكتبت للأمير علي ولي عهد الملك وحاكم
المدينة المنورة : على لسان الشريف عبدالمطلب كتابا ذكرت له فيه الغرض
الذي من أجله قدم شيخوخة الحائط على سموه ، وكتبت على لسان
الشريف عبد المطلب أيضا بأن ضيفنا (محمد بهجة) أحب التشرف
بلقائكم مع الوفد .

ركبنا الإبل يوم الثلاثاء ١١ رجب ، وقضينا في ميرنا ستة أيام ،
وفي صباح الأحد ١٦ رجب بلغنا مدينة الرسول عليه وعلى آله وصحبه
أفضل الصلاة والسلام ، وكانت قد جالت في خاطري هذه الآيات :

قصيدتي النبوية

لمسجدك المحبوب يا خير ساكن
بطيبة إنا قد طوينا المراحل
صلاة به عُدَّتْ كَألف بغيره
وفي زروة المختار نلنا الفضائل

ألا يارسول الله قد جئت بما
ياسعاد كل الناس قد كان كافلا
فعلّمت أميا ، وأرشدت حائرا
وأيقظت مغرورا وأدبت جاهلا
فصلى عليك الله يا سيد الورى
لخير بني الإنسان قد جئت جاملا
* * *

وذاك كتاب الله ما زال يئنا
يؤيد حقا ، ثم يزهب باطلا
أفاض على الغبراء شمساً فأشرقت
على كل مفضول ومن كان فاضلا
دعا أمة التوحيد بعد تمزق
لحسن اتحاد يدحر الخطب نازلا
ولكن أبى أهلوه إلا تفرقا
وإلا عداً بينهم وتخاذلا
* * *

ألا ليت شعري هل درى الخلق بالذي
جرى في جهات الشرق أم دام غافلا
حروب تشيب الطفل قبل مشييه
وتترك رب الفكر حيران ذاهلا
لقد شنها أحلاف جهل وفتنة
ومن كان عن سبل الشريعة مائلا
ودانوا لرب العالمين بزعمهم
فسلبهم نيل لمن كان نائلا

وقد أرخصوا الأرواح دون منالهم
وما رجعوا إلا قتيلاً وقتلاً
بضرب رقاب أو بحز حلاقم
وسفك دماء تترك الأرض سائلاً
وتقطيع أجسام واحراق أضلع
ليأكلها في النار ما كان آكلاً
وتقسيم أموال وترك عوائل
يتامى أيامى لا ترى قط عائلاً
فذا بعض ما يجري وما قد سمعته
على كذب منهم ، وقد كنت سائلاً

★ ★ ★

حنانيك يا رباه ماذا أصابنا
وماذا دهم الإسلام سرعان عاجلاً
وأنت رعاك الله يا نسل يعرب
ألست ترى في ذاك مجسّدك زائلاً
لقدم هذا الشر كل ابن حرة
فأحنى له ظهراً وأثقل كاهلاً
سلام على يوم نرى العرب تتقي
به غدر من قد كان للعرب خاذلاً

دخلت المدينة المنورة في ركب مؤلف من نحو ثلاثين رجلاً من عرب البادية
ومن قرية الحائط ، وأنا معهم على ظهر ناقتي بزي بدوي ، أشعث أغبر ،
من وعشاء السفر ، وعليّ كوفية وعباءة ، حافي القدمين ، ملثم الوجه
بإدي العينين ، وما زلنا نجد السير حتى بلغنا منزل ولي العهد ، سمو
الأمير علي في منتصف العنبرية ، على طريق السكة الحديدية ، فأنخنا
أمام الباب ، ورأينا عشرات مزدحمين هناك ، من أهل المدينة والأعراب ،

فسأنا رجل من طرف سموه : أمعكم كتاب ، فناوله أحد الشيوخ
مكتوب الشريف عبد المطلب الذي كتبته بخطي على لسانه ، فلم يلبث
الرسول أن رجع إلينا يقول : أين الشامي ؟ فتقدمت إليه ، فقال : مولانا
الأمير في انتظارك ، فأنشدت في نفسي قول القائل : (متى أضع العمامة
تعرفوني) فتعممت على الطربوش ولبست جبتي وجوري ، ثم دخلت
على سموه وسلمت عليه ، فحياني بالطف تحية بعد أن نهض سموه
واقفا على قدميه ، ثم أكرمني بالجلوس إلى جانبه ، وسألني عن صحتي
وأحوالي ومقدمي ، فأجبتة بخلاصة أيام السفر وما لقيته من شديد
الخطر ، فهأنني بالسلامة ، وخبرني بين السفر والإقامة ، فبينت لسموه
سبب السفر ثم أحضر حاجبه وأوصاه بي ، وأمر بإعداد محل لي انزل
فيه ، فذهبت مع الحاجب داعيا شاكرا فضله ، وجلست حصة لطيفة
عند حضرة الحاجب (جميل بك الراوي البغدادي) وبعد تبادل عبارات
السلام والمعرفة ، استدعى سيادته (تلفونيا) رشيد أفندي الغز
الدمشقي (من قرية داريا) المقيم في المدينة المنورة بوظيفة مهندس
للخط ، وهو محبوب هناك جدا لاستقامته وكرمه ، فلما انتهى إلينا
سلم علينا وجلس ، وبعد معرفة اسمي ولقبني قام واقفا وجدد السلام
والاحترام ، وقال : ان بني البيطار هم سادتنا ومرشدونا ، وما منهم الا
عالم أو متعلم ، فحياني جميل بك ثانية وقال تنزل ضيفا في دار رشيد
أفندي ، واذا عرض لك أمر أو غرض فترجو اخبارنا (بالتلفون) عنده ،
فشكرت غيرته واهمته ، وذهبت مع رشيد أفندي حتى اتھينا إلى داره
في المحطة بأقصى المدينة من جهة الشمال ، وبعد تناول طعام الغداء ، مع
ضيوفه : حضرة مصطفى أفندي عبد الهادي النابلسي وولده الملازم
منير أفندي وغيرهما ، استأذنته بالاغتسال في بيته ولم أذهب للحمام
اذ ليس عندي شيء من النقود ، وبعد الاغتسال وتغيير الثياب ، ذهبت
قاصدا المسجد النبوي وهو يصحبني : فقطعنا العنبرية والمناخة وسوق

المدينة : حتى انتهينا الى باب الحرم ، وهناك أثر في الخشوع ،
واغروقت عينا بالدموع ، واشتد خفقان قلبي : حين دخولي على
النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم أكد أضع رجلي في عتبة الحرم حتى
استلمني دليلان ، وتنازعني عاملان : هذا يقول : من الشام : والآخر
يجيبه : نعم ولكنه قدم من معان ، ثم سألاني تحقيق الخبر وهما
يتجادبان ردائي ، فقلت لهما : أيها الإخوان ، اني منتسب الى العلم
الشريف مثلكما ، وأحب أن التزم الزيارة الشرعية بعد أداء تحية المسجد
في الروضة بين المنبر والبيت ، ثم أدعو متوجها جهة القبلة بالدعوات
الخيرية ، واني شاكر فضلكما وغير ناس اكرامكما ، ثم ذهبت وصليت
ركعتين في موقف النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة ، ثم بسطت يدي الى
السماء ودعوت بخيري الدنيا والآخرة لي ولأهلي وأصحابي واخواني ،
وتلاميذ (مدرستنا التوفيق خصوصاً) وفقهم الله والمسلمين أجمعين لما
يحبه ويرضاه ، ولم أنس بفضل الله أحداً أبداً ، فأسأل الله القبول ، انه
أكرم مسؤول ، ثم ذهبت وتشرفت بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم
وزيارة صاحبيه أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) وسكان البقيع
وحمزة عم الرسول (ص) وشهداء أئمة ، رضي الله عنهم أجمعين .

حال البلد الطيب العلمية

البلد الطيب كسائر البلاد أصابته الحرب بنقص من الأموال والأنفس
والثمرات ، فأخرته في كل شيء تأخيراً محسوساً ، أما دروس الحرم
النبوي العامة فدرس في تفسير القاضي البيضاوي ، وآخران في الفقه
والتصوف ، وأما دروسه الخاصة فمبادئ الفقه والنحو لأفذاذ من
الطلاب ، وقد شغل الناس أمر المعاش بغلاء الحاجيات ، وقلة الموارد .

المدارس الاميرية

في المدينة المنورة أربع مدارس أميرية ، وهي العكوية ، والعبدية ، والفيصلية ، والزيدية ، على أسماء أنجال جلالة الملك الكرام ، وقد زرتها كلها في اليوم الثاني والثالث ، وعلمت أنها أسست في أوائل الثورة العربية ، ولكل مدرسة مدير ومعاون ، وفي كل منها ثلاثون تلميذاً فأكثر ، ودروس كل منها : القرآن الكريم والتوحيد والفقه الإسلامي والحساب ، وليس للغة العربية فيها أثر ، وقد سألتنا عن سبب ذلك ، فقالوا : إن النظام الموضوع من قبل المعارف لا يساعد ، لأنها مدارس ابتدائية ، قلت يا سبحان الله ، أليس فن النحو من الدروس الابتدائية الحاجية ، التي تبنى عليها العلوم الشرعية ، وهل هو أدق من مسائل الفقه والتوحيد ، اللذين تقرئونهما للتلاميذ ؟ فوعدوني بالعناية بتدريس النحو متى رخص لهم فيه ، وذكر لي أستاذا المدرسة العبدية بأنهما يقرئان اللغة العربية للطلاب ليلاً ، جزاهما الله تعالى خيراً .

رحّب بي أساتذة المدارس الكرام ترحيباً عظيماً ، وامتحنوا أمامي الطلاب في جميع الفنون ، وألقى الطلاب النجباء أمامي خطب الترحيب وغيره من منشور ومنظوم ، وشرّبنا الشاي في كل منها ، وتبادلنا الحديث مع الأساتذة الأفاضل ، وقد ألقينا في كل منها خطبة شكرنا بها حضراتهم على ما لقيناه من كرمهم وودهم ، ثم بينا مزية اللغة العربية وشرفها ، وتدريس الأوربيين في مدارسهم لها ، ولسائر العلوم العربية وغيرها . وسردت بعض النواذر المؤثرة في هذا الموضوع ، وبينت أن مدينة الرسول (ص) ينبغي أن تكون في مقدمة البلاد ديناً وعلماً وأدباً وعرفاناً . وينبغي أن تستمد النهضة الحديثة منها ، وتتخذ مدينة العرب الجديدة عنها ، وشرحت حديث : « إن الإيمان يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » ، وحديث : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ » . وأن معنى ذلك أن شاء الله « أن الإيمان والإسلام بعد أن يضعفا ويرجعا إلى

المدينة منبعهما ومصدرهما . سيستأنفان نشاطهما : ويجددان شبابهما
بهمة آل طيبة الغراء ، ثم يعيدان الكرة ، وينبعث في المرة الثانية من
طيبة النور ، فيضيء سائر المعمور : إن شاء الله تعالى .

فسروا بهذا البيان ، وتبادلنا عواطف الشكر والامتنان ، ثم ودعناهم
وانصرفنا ، بعد أن كتب كثير منهم اسمي ولقيي وعملي في دمشق .

العلماء الغرباء في طيبة الغراء

قلنا ان المدينة فقدت كثيرا من أبنائها أيام الحرب على اختلاف
طبقاتهم ، فمنهم من هاجر منها ولم يعد بَعْدُ إليها ، ومنهم من قضى نحبه
في المهجر ، أو في نفس المدينة ، وقد فقدت قسماً من علمائها الأجلاء ،
وحفظ الله قسماً منهم كقاضيتها الفاضل الشيخ عمر الكردي الكوراني
أحد أحفاد الشيخ ابراهيم الكوراني الشهير ، ومفتيها الفاضل الشيخ
أحمد كسح وغيرهما . ولا تكاد تجد خمسة عشر في المائة من سكان
المدينة الأصليين ، والباقي بين أعراب وأغراب من المهاجرين .

أما العلماء الغرباء الموجودون هناك فقد زرت منهم الشيخ الخضر
الشنقيطي وجماعته ، والشيخ أحمد شمس الشنقيطي ، وقد حصل لنا
بكل منهما أنس كبير ، والشيخ عبد القادر شلبي الطرابلسي مدير
المعارف ، وبعد مذاكرة دارت بيني وبينه في شأن الدروس العربية
وأهميتها ومكائنها ، ذكر لي فضيلته من أمر المعارف ما ساءني أمره ،
ولا يسرني ذكره ، وتبين لي أن حضرته غيور على دينه ، حريص على
مصلحة قومه ، ولكن الأمر كما قيل : تجري الرياح بما لا تشتهي السفن .
يسر المولى لهم من أسباب النهوض ما يحبون بمنه وكرمه . آمين .

فاتنا أن نذكر اجتماعنا في المدينة المنورة بحضرة حاكمها العسكري
شكري باشا الأيوبي الدمشقي ، وهو حفظه الله تعالى رقيق الطبع
لطيف الخلق .

رجوعي من المدينة المنورة الى دمشق

ثم عدنا من المدينة الى دمشق الشام ، بعد أن مكثنا فيها ثلاثة أيام ،
مشمولين بالخير والإنعام . ركبنا قطار المدينة ليلة الأربعاء ١٩ رجب
الفرد عام ١٣٣٨ فبلغنا دمشق مساء الخميس ٢٨ رجب عام ١٣٣٨ أي
ان الطريق استغرق تسعة أيام ، فالحمد لله على التمام ، ونسأله تعالى
حسن الختام ، وعلى ساكن طيبة وآله أزكى الصلاة والسلام .



ثلاث رسائل متبادلة بيني وبين الإمامين عبد العزيز بن عبد الرحمن
الفصل آل سعود . ومحمد رشيد رضا منشيء المنار وتفسيره ، وفيها
تلخيص لما عانيت في الرحلة وللغرض منها ، وللموضوعات العامة التي
جرت المذاكرة فيها بوساطة الرسل أو اللقاء والمشافهة : أو الكتابة .

الرسالة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وآله وصحبه .

الى حضرة الأمير الجليل ، ومجدد معالم الدين النبيل ، ناصر السنة
الفراء ، وخاذل ذوي البدع والأهواء ، الإمام عبد العزيز آل سعود ،
أيده الله بروح منه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد بث الأشواق القلبية ،
وتوجيه الدعوات الخيرية ، أبدي أن حضرة أستاذنا الكريم ناشر علم
السنة في مصر والشام ، بل في جميع أقطار الإسلام ، السيد محمد رشيد رضا
أرسلني اليكم وأرسل معي خطاباً لأسلمه الى سموكم ، مشتملاً على
التعريف بي ، والدعوة الى عقد اتفاق عام ، بين جميع أمراء الجزيرة
العربية وأئمتها الكرام ، دفعاً للعدوان الأجنبي على بلاد الإسلام ، ولم
يكن يخطر في بال السيد ولا في بالي ، ما لاقته في السفر من المتاعب ،
وما فاسيته من الأهوال والشدائد ، وأول ما صادفنا عصابة شقية ، من
عشيرة بني عطية ، سلبتنا نقودنا وثيابنا وزادنا ، وسلبوني مقدار خمسين
جنيها ذهباً عدا ثيابي وزادي ، وأصبحت نفقتي على حساب رفيقي وأخي
في الله تعالى شلاش جزاه الله تعالى خيراً . ولقينا مفرزة ثانية في موطن
آخر ، فوجهوا الى صدورنا السلاح ، ثم عرفوا أخانا شلاش فأطلقوا

سبيلنا . وأطلق آخرون علينا الرصاص ، فلم نصب ، والله الحمد ،
بأذى .

وإني أعزك الله أيها الإمام ، سليل أعلام من خدمة الكتاب والسنة
في دمشق الشام ، وقد اعتدنا حالة الحضر ، ولم يسبق لنا تحمل مشاق
السفر ، ولذا نالني في خمس وعشرين ليلة كان فراشي فيها الرمال ،
بين الآكام والجبال ، ومركوبي في بعضها الجمال ، نالني ما أورثني
الآلام ، وأمرضني عدة أيام ، وقد احتسبت ذلك عند الملك العلّام ،
ورجوت أن يكون جهاداً في سبيله ، وابتغاء مرضاته . ولما قربنا من
قرية الحائط ، قصّوا علينا من فظائع حروب المسّين بالمتدينة مع
خصومهم ، ما تقشعر منه الأبدان ، ويتفطر له قلب أهل الإيمان ، وهم
يطلبون الشهادة على أيدي من يكفرونهم ، ويتقربون بقتل مثلي لأسباب
لا تخفى على فطنة الإمام ، وهم أخلاط من عشائر بدوية لا يدرون
ما الكتاب ولا الإيمان ، ولا يعرفون لنفس حرمة ولا قيمة ، قلت في
نفسي : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » ، هدايا الله وإياهم
سواء السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ولقد كنا نزلنا ضيوفاً عند متعب أخي سلطان الفقير ، فالفينا هذالك
هو والإخوان ، على أحسن حال يكون عليها أهل الإسلام والإيمان .
وقال إن هذا أثر الوعظ والإرشاد ، لا السيف والجهاد ، وكذا رأينا
العشائر المجاورة لهم ، تقيم الصلاة وتسال عن أحكام الزكاة ، وذكروا
أنهم في حاجة إلى مرشدين ، يعلمونهم أحكام الدين ، قلت هذه فرصة
لمن يتغنى وجه الله والدار الآخرة من علماء نجد الأفاضل إذا هم انبشوا
في جميع العشائر والقبائل ، فإن العرب التي لم تستجب بعد ، ليسوا
بأقصى قلوباً ولا أغلظ أكباداً ممن دانت ، فهم في مزيد الحاجة الآن إلى
أن يشملهم نظر الإمام ، بارسال واعظين حكماء ، يعلمونهم أحكام
الشريعة السمحة ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأحسب أنهم لا يمضي

عابهم وقت قليل ، حتى يكونوا أحسن حالا من كل قبيل ، وتلك أيسر الخطين . وأقرب الطريقين ، والإمام أيسره الله أبعد نظرا وأوسع خبرا وخبرا .

كتبت هذا اليك أيديك الله وأنا في قرية (الحائط) معتل المزاج . لأرسله مع خذ السيد مع أخي في الله شلاش ، كما أشاروا علينا بذلك . وقال شلاش انه يتعهد بإيصال الأمانة اذا أنا سافرتها له ، ففعلت : ولكني آسف كل الأسف على أن أقطع خمسا وعشرين مرحلة ، ثم يبقى علي بضع مراحل ، فيحال بيني وبين قطعها للتشرف بلقاء الإمام ، والاستفادة من مجالسه العالية . وممن لديه من العلماء الأعلام ، وسائر الإخوان الكرام ، فوا أسفاه وواحر قلباه :

أرى ماء وببي ظمأ شديدا ولكن لا سبيل الى الورود

فعلى أولئك القاطعين المانعين ما يستحقون ، وإنا لله وإنا اليه راجعون .

ولقد ذاكرني السيد مذكرات ، لأشافهمكم بها ، فكتبتها في ورقة خاصة مشارا اليها بالأرقام ، وأرجو كل الرجاء أن تجيبوني عنها كتابة باختصار ، حتى أسرد تلك الأجوبة للسيد ، قياما مني بتمام الخدمة ، ووفاء بواجب الذمة ، وعسى أن يسبغ الله بكما على المسلمين النعمة ، ويدفع عنهم البلاء والنقمة .

وأكرر رجائي في أن تأمروا بكتابة جواب مختصر على المذكرات ، ويفصله لي مؤتمن من طرفكم تفصيلا اذا شئتم واقتضى الأمر ذلك . والإمام أعزه الله وأنا له من خدمة الإسلام ما يتمناه أرفأ بي من أن يردني مخذولا ، أو يعيدني الى السيد مخجولا ، ويأبى عطفه وفضله أن تجتمع علي مصيبتان ، مصيبة عدم التشرف بلقائه ، وعدم القيام بغرض السيد الشريف ، مع تعبي وتعبه وعنائه . أدامك الله تعالى لنصرة المسلمين والإسلام .

يصلكم ان شاء الله مع الأخ شلاش كتاب « مدارج السالكين بين
منازل إياك نعبد وإياك نستعين » لشيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية ،
شرح كتاب أبي اسماعيل الهروي ، وكله علم وتحقيق في فن التصوف ،
وتزكية النفس بالفضائل ، وعدم تدسيثها بالردائل . وقد طبع في مطبعة
المنار ، فأقدمه لجنابكم العالي هدية مني ، فتفضل أيها الإمام الجليل .
بقبولها من هذا الضعيف ، أدام المولى فضلكم .

وإني في الختام ، أقدم وافر الشوق وعاطر السلام ، الى من بطرف
مولاي من العلماء الأجلاء والإخوان الكرام ، عليهم جميعا أزكى
التحية والسلام .

حرره في ٥ رجب عام ١٣٣٨ هـ

محبكم المخلص :
محمد بهجة البيطار

* * *

الرسالة الثانية

كتاب مني الى السيد الإمام محمد رشيد رضا بعد عودتي بالقطار
من المدينة المنورة الى دمشق الشام ، آخر شهر
رجب الحرام . عام ١٣٣٨ هجرية

ياشيخ الإسلام ، جعلني الله تعالى فداك ، ورزقني برك ورضاك .
لي عظيم الشرف بلثم يدك ، وتقديم أوفر الشوق الى سيادتك ، وبعد
فاني قد وصلت أمس دمشق الشام ، بعد أن لبثت في المدينة المنورة
ثلاثة أيام ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وخلاصة الأمر أنني قد
قطعت مع رفيقي خمسا وعشرين مرحلة ، وبلغنا قرية الحائط الواقعة
شمال المدينة على مسافة أربع مراحل منها . وما بعدها أول حدود متدينة
نجد فلم أستطع أن أخطو خطوة واحدة في أرضهم ، خيفة من أن أقتل
شر قتلة ، على يد جهلة عشائر البدو ذوي الأهواء والضلة ، فأرسلت
مع رفيقي الرسالة ، وبلغت كتابة جميع الأمانة ، وعززت ذلك بكتاب
مني أوضحت فيه عذري وألححت على الأمير برد الجواب ، وهذه أول
خدمة للإسلام ، أقوم بها على يد سيدنا الإمام . أقمت في الحائط
منتظرا رفيقنا ثمانية أيام ، ثم اضطر شيوخ القرية أن يَرِدُوا المدينة
المنورة فصحبتهم ، وأقمت هنالك ثلاثة أيام عند رجل دمشقي بأمر من
سمو الأمير علي ، وخبرني سموه بين المقام ، أو العود الى دمشق الشام ،
فاخترت الثاني ورجعت بحمد الله سالما .

ليس بي الآن قوة — وأنا عليل المزاج ، منحط الجسم ، مشئت
الفكر — لأكتب لسيادتك أكثر مما كتبت ، أو أوضح أكثر مما أوضحت ،
وذلك بأنه ليس ركوبي على ظهر الجمل ، بأشد خطرا ، ولا أكثر ضررا ،
من ركوبي في بطن القطار ، الذي بقيت فيه تسع ليال ، ما أذوق المنام إلا
غارا ، من شدة الازدحام ، وحذار جهال البدو اللثام . وحسبي أن

أثقل من مذكرات رحلتي نبذة يسيرة من أحوال جهال المتدينة ، وقصيدة
في وصفهم ، وكتابي ، وكلها أرسلتها الى الأمير مع كتاب سيادتكم ، وفي
أول فرصة أتمكن بها من المشول بين يديك أبسط أمامك ما يجب
بسطة ان شاء الله ، وعليك أيها السيد الكريم في الختام كريم التحية
والسلام .

محمد بهجة البيطار

* * *

الرسالة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

- صاحب الجلالة الملك الإمام عبد العزيز آل سعود المعظم ، أطلال الله
عمره ، وأدام نصره ، آمين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
- وبعد ، فقد عدت والله الحمد وأنا مطمئن القلب ، مرتاح الضمير ،
فرح مستبشر برضا الله تعالى ثم برضا الإمام عني ، وثقته الغالية بي والله
الحمد ، وما عندي شيء يعدل شكر هذه النعمة إلا الدعاء لله عز وجل
بأن يطيل عمر الإمام . ويديمه ذخراً للمسلمين .
- بلغت شكر صاحب الجلالة لأستاذنا السيد محمد رشيد رضا وعطفه
وثناؤه الساميين عليه ، وبشرته بما يسره ، وبما يسر علماء نجد الأكارم ،
فشكر فضل الإمام ، ودعا له بدوام النصر والتوفيق ، وقال : إن ثنائي
على جلالته أكثر ، وشكري له أوفر ، وإني على دوام رضاه أحرص ،
ولولا ثقتي به وبدينه ، وخوفي عليه وعلى ملكه ، ورجائي في انتصاره
للمسلمين ودفاعه عنهم بقدر المستطاع ، ومعرفتي بفوائد هذا الانتصار
والدعاء ، لولا ذلك ولولا اعتقادي أن هذا النصح والتذكير مما يجب
علي القيام به وعدم التقصير فيه ، لما كتبت الى جلالته في ذلك حرفاً ،
فاني جد حريص على دوام مودته ، وإن مسرته مسرتي ، ومساءته
مساءتي ، ولكن التعاون على الخير ودفع الأذى والعدوان مفروضان
عائنا « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »
فشكرت لفضيلة السيد محبته ومودته وغيرته ، ثم قلت : إن ما تعهدونه
في إمامنا المحبوب من غيرته على الدين والأمة ، وجهه للإصلاح والدفاع
هو الذي يدعوكم الى تذكير جلالته بما تروونه واجبا ، (قلت) ولكن
مدار الأعمال على المال ، وهو الآن غير ميسور ، وأنا أعلم من جلالة
الملك أن كل ما يراه المفكرون — على اختلاف مشاربهم وأذواقهم —

ضروريا ، وكل ما سمعه أو علمه من مقترحاتهم ، فهو إما أن يرى رأيهم فيه فيؤخره عنه عدم وجود المال ، وإما أنه لا يرى المصلحة فيه .
قال فضيلته : أما الأعمال ، فمدارها على الرجال والمال ، والمال وحده لا ينشئ الأعمال ، وأما الرجال العاملون العارفون فهم يوجدون طرقا لتكثير الثروة وحفظها ، ويقومون بالأعمال والمشاريع النافعة التي تظهر ثمرة المال وفوائده ، قال : وأنا أعلم أن بلاد الحجاز تحتاج اليهما جميعا ، لتقوى وتعمر وليدوم لها وإلاماننا فيها الهناء والرخاء ، ويكسب ثقة العالم الإسلامي كله ، وأنا على يقين من أنه لا يقوم عمل في الدنيا بدونهما (الرجال والمال) وأخاف من عواقب فقدانهما ، ولا تزال بحمد الله - الفرصة سانحة بوجود هذا الإمام المحبوب ، بهجة الأرواح والقلوب ، وقد جئت الآن (الخطاب الى محمد بهجة البيطار) بتبشيري عنه بكل ما يسرني ، فيالها من بشرى ، وزدت على ذلك أن جلالتـه أرسل الأوامر مؤكدة مشددة الى جماعات الأمرين بالمعروف ، في كل مكان ، ليقوموا بأعمالهم بلا هوادة ، وأوصى الدوائر الحكومية الرسمية من أقصاها الى أدناها بتقوى الله في أنفسهم وفي أعمالهم ، وقرن القول بالفعل ، فظهر لذلك أثر محسوس ملموس ، فهذه بشرى أخرى .

ثم قال الأستاذ : أنا - تحدثا بنعم الله - أعلم سنن الله تعالى التي هدانا اليها القرآن في الأفراد والأمم ، والممالك والشعوب ، وأعلم أسباب الصعود والهبوط ، والدوام والزوال ، ومن يطالع المنار والتفسير يعلم ذلك ، ثم بين كيف تنطبق هذه السنن الإلهية على الدول والأمم قديمها وحديثها ، وهي لا تتخلف أبدا ، وللممالك والشعوب آجال كما للأفراد ، ولطول حياة الشعوب وسائل وأسباب . واني لأكتب ما أكتب الى جلالة الملك بباعث الخوف والرجاء ، وأسأل الله تعالى له طول البقاء ، ولحكومته دوام الارتقاء ، ولو كنت أعتقد أن السكوت يسعني أو أن غيري يكفيني مؤونة هذا النصح لآثرت الصمت .

والذي يزيدني رغبة في القول والعمل ، وغيره على هذه الحكومة .
هو كونها حكومة دينية سلفية . تعنى بتطبيق أعمالها على أساس الكتاب
والسنة ، وما كان عليه سلف هذه الأمة ، فهي تتفق في غايتها مع ما أنشده
وأنشره في المنار والتفسير ، منذ خمسة وثلاثين عاما ، وما زلت أقيم
الأدلة على أن الحكومة الإسلامية التي تقام على أساس الشرع ، تفضل
جميع حكومات الأرض . (ويكفي كتاب الخلافة العظمى شاهد عدل) .

فأنا أرى أن هذه الحكومة الدينية التي تمثل سلفتها في شخص
الملك تحتاج من أجل تثبيت أركانها ، ورفع بنيانها ، وتحقيق غايتها الى
أمور لا بد منها . ولا غنى لها عنها . وهي ما أكتب الى جلالة الملك بها ،
وأسأل الله تعالى له مزيد التوفيق .

قلت : (القول من محمد بهجة البيطار) أنا أعرف قيمة هذه النصائح
الثمينة التي تفضلتم بها ، والفوائد العظمى التي تنبني عليها ، ولكن
لا يخفى على أستاذنا أن تحقيق هذه المطالب التي أشرتم اليها ، يحتاج
الى مال كثير ، وأتئى للحكومة به الآن ؟ ثم إن نشرها في المجلة أو المطالبة
بها ، — مع عدم إمكان تحقيقها ، لا يأتي بالثمرة الطيبة التي تتوخونها ،
عدا ما في ذلك من تنبيه الأفكار ، وتوجيه الأنظار ، وعدّ ذوي الأغراض
ذلك إعلان عدا ، وذلك ما لا يرضاه فضيلة السيد ، ولا يتفق مع سعيه
المشكور بوجه من الوجوه ، ولا يود أحد من المخلصين للأمة العربية ،
والملة الإسلامية ، أن يكون أبدا .

ثم ان جلالة الملك الإمام الآن في نجد كما علمتم ، والاصلاح في
الحجاز لا يتم إلا بوجوده فيه ، وبعد العود بالسلامة ان شاء الله تكون
المكاتبة أقرب وأولى . على أنني أعتقد أن جلالة الملك لا يقبل أي
إصلاح يأتي عن غير طريق الدين ، ويثقل عليه دعوته الى محاكاة أوربا
أو أمريكا ، وانما يحب الأخذ عن كتاب الله ، وسنة الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم ، وعمل السلف الصالح ، وهذا شيء انفرد به فضيلة

أستاذنا صاحب المنار ، فلا يعدُّ أحد في طبقتة فيه ، سواء أكان من العلماء أو مشاهير الكتاب ، فهو في تذكيره الملك الإمام في هذا الشأن ، في غنى عن مشاركة أي انسان . وإني أرى أن جلالة الملك يقبل منه ما لا يقبل من غيره ، وأرى أن الاجتماع للمذاكرة أفضل من المكاتبة . وبناء على ذلك أرجح بل أقترح على فضيلة السيد أن يستأذن مولانا الإمام ، في أن يلقاه في بلد الله الحرام ، ليذكر له كل ما يجول في نفسه ، ويتعاون معه على كل ما يحقق المطلوب للإسلام وللمسلمين ، والله هو الموفق والمعين .

قال فضيلته : أنا أعلم أن المال الآن ، غير موجود ، والحالة تدعو الى الاقتصاد التام في النفقات ، وليس من رأيي نشر أفكار ومطالبتي الآن في المنار ، إذ ربما يحمل ذلك كما قلت على محمل سيئ . أما أمر السفر الى هناك ، والاجتماع بجلالة الملك فلا أستكثره على هذه المهمة الإسلامية ، وإذا دعيت اليه أجبت مع الشكر ، ونسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه .

ثم تذاكرنا في مطبوعات الملك الإمام ، والتعليقات عليها ، وبسطت له رأي المشايخ فيها . وأخيراً عدل عن التعليق على ما يطبع عنده ، وقال لي فضيلته : أنا محتاج الى الوقت الذي أصرفه في هذه السبل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

هذا ما علق بالذهن من حديثي مع الأستاذ صاحب المنار ، أعرضه على نظر الإمام المعظم أيده الله .

محمد بهجة البيطار

* * *

وقد جرى التفاهم التام بين جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود
والسيد الإمام محمد رشيد رضا على مسائل الإصلاح المنشود في البلدان
العربية والإسلامية ، بمساعي هذا الضعيف (البيطار) كما هو واضح في
هذا الكتاب الأخير الذي ختسنا به هذه الرحلة الأولى ، فالحمد لله على
التمام ، ونسأله تعالى حسن الختام .



ترجمة الضعيف

محمد بهجة بن محمد بهاء الدين بن عبد الفني بن حسن بن ابراهيم
ابن حسن بن محمد بن حسن البيطار الدمشقي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان .

وبعد فالشهور أن أصلنا القديم من بليدة وهي بلدة من
أعمال الجزائر ، هاجر منها جدُّ جدي الأدنى ، سيه الشيخ
حسن ، واستوطن دمشق الشام ، منذ أكثر من مائتي عام ، ولم أقف
على تاريخ الأسرة ، ولا على سبب الهجرة ، ولم يشر الى مثل ذلك
سيدي الجد الشيخ عبد الرزاق البيطار المؤرخ للقرن الثالث عشر في
كتابه (حلية البشر)^(١) . وفي منتخبات التواريخ للسيد التقي الحصني
شذرات من تاريخ الأسر الدمشقية ، ومنها أسرتنا البيطارية ، قال رحمه
الله تعالى : (ج ٢ / ٨٨٥)

ومن الأسر الشهيرة في العلم والفضل في حي الميدان ودمشق
(بنو البيطار) خرج من رجال هذا البيت جماعة من أجلة العلماء
والشعراء ، تقدم ذكرهم في كتابنا في العصر الأخير ، وهم الشيخ محمد
أمين الفتوى ، وله ذرية كبيرة نجبية ، والمؤرخ الشهير الشيخ عبد الرزاق
وله أحفاد نجباء ، والشيخ عبد الغني ، وله ذرية أدباء ، والشيخ سليم
أحد أركان رجال هذا البيت ، مات سنة ١٣٤١ هـ وقد أعقب ذرية
نجبية ، عرفنا منهم الشيخ جميل إمام جامع الدقاق وحسني بك المحاسب
المركزي لمالية دمشق . واشتهر منهم بالفضيلة والعلم الشاعر الشهير
الشيخ بهاء الدين ، وهو والد صديقنا الشيخ محمد بهجة من علماء
دمشق ، ومن مدرسي الحرم المكي اليوم (سنة ١٣٤٤ إلى سنة ١٣٤٩ هـ) .
بتصحيح قليل .

(١) سيأتي ذكره في هذه الترجمة بين المؤلفات المطبوعة .

وذكر الشيخ محمد (وهو كبير الإخوة الأشقاء الأربعة وهم محمد وعبد الغني وعبد الرزاق وسليم) الأستاذ الشطي في وفيات سنة ١٣١٢ هـ وقال : إن المترجم من كبار علماء دمشق وفقهائها ، وهو أمين الفتوى بها أكثر من ثلاثين سنة . ثم نقل ترجمته عن التقي الحصني ، وزاد عليها زيادات جعلها بين هالين ، وترجم الصديق المؤرخ الشطي لفضلاء من أسرتنا في تاريخه روض البشر ، وأعيان دمشق . أما الأستاذ الجد الشيخ عبد الرزاق فقد ترجم في (الحلية) لجدّه ابراهيم (ج ١ ص ٦) ولابن شقيقه عبد الغني وهو والذي بهاء الدين (ج ١ / ٣٨٠) ولوالد المؤلف حسن بن ابراهيم (١ / ٤٦٣) ولشقيقه عبد الغني بن حسن (ج ٢ / ٨٧٣) ولشقيقه الأكبر محمد (ج ٣ / ١٤٢١) ولأصغر الأشقاء الأربعة سليم (٣ / ١٤٢١) ولابن أخيه محمود بن محمد البيطار (٣ / ١٤٨٣) .

هذه شذرات من تاريخ هذه الأسرة ، تراجع في صفحاتها من أجزاء « الحلية » وإني اكتب ترجمتي بالكلم الوجيز ، وأضيفها الى هذه التراجم استكمالاً لهذه السلسلة .

١ - الدراسة الابتدائية والثانوية :

كانت ولادتي بدمشق الشام ثاني يوم من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١١ هـ و ١٨٩٤ م .

وكانت الدراسة الابتدائية في المدرسة الريحانية ، والدراسة الثانوية في المدرسة الكاملية من المدارس الأهلية ، ودرست اللغة الفرنسية في المدرسة العازارية الميدانية ، ودراسة خاصة على الميسو موريس ، (وهو الأستاذ عبد الله الريحاني الذي أسلم عن يدي رحمه الله) .

٢ - الدراسة العالية :

وفي سنة ١٣٢٦ تركت المدارس وعثيت بتلقي العلوم العربية

والدينية والعقلية على والدي الشيخ بهاء الدين ، وعلى عالمي الشام
جدي الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي ، وعلى
محدث الشام الشيخ بدر الدين الحسني ، ثم على العلامة الجليل الشيخ
محمد الخضر حسين التونسي شيخ الجامع الأزهر ، وقد قلت أيام
قراءتنا عليه بدمشق (وهو خاتمة شيوخه) :

ياسائلي عن درس رب الفضل مولانا الإمام
ابن الحسين التونسي محمد الخضر الهمام
سل عنه مستنقى الأصول لليت معترك الزحام
أعني الغزالي الحكيم رئيس أعلام الكلام
وكذاك في فن الخلاف بداية العالي المقام
أعني ابن رشد من غدا بطل الفلاسفة العظام
وكذا صحيح أبي حسين مسلم حبر الأنعام
وكذلك المغني الى شيخ النحاة ابن هشام
وكذا كتاب أبي يزيد بن البرد في الختام
تلك الدروس كما الشمس تنير أفلاك الظلام
فتكون منك حقائق المعنى على طرف الشام
فالحق عوضنا به من شيخنا شيخ الشام^(١)
فعليه مآذر الغزاة رحمة الملك السلام

ولي إجازات علمية خطية من بعض هؤلاء الأجلاء ، أحسن الله إليهم ،
وجمعنا بهم في دار كرامته .

٣ - المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجمع القاهرة والعراق :

انتخبت عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٣٤٠ هـ =

١٩٢٢ م

(١) هو علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي .

وبعد توحيد مجمعي دمشق والقاهرة في ٢٦ حزيران سنة ١٩٦٠ م .
اعتبر القرار الأعضاء في القاهرة ودمشق أعضاء في المجمع الجديد .
وانتخبت عضواً في المجمع العلمي العراقي في بغداد في ٣ حزيران
سنة ١٩٥٤ م .

٤ - التعليم بدمشق ، والتدريس في الحجاز :

علّمت في الثانوية الكاملة وغيرها . ثم دعّني وزارة المعارف
السورية سنة ١٩٢١ م لتعليم الدروس الدينية والعربية واللغة الفرنسية
(في عهد وزارة الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله) بمدرسة خالد بن
الوليد ، واستمرت في العمل ، الى أن دعيت الى الاشتراك في المؤتمر
الإسلامي العام . الذي انعقد بمكة المكرمة سنة ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م
فلبيت الدعوة وأديت فريضة الحج ، واشتركت في أعمال المؤتمر ،
وهناك استبقاني جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، وأدرت
المعهد العلمي السعودي خمس سنين . (وحج العيال معي ستين ، أما
هذا الضعيف فقد من الله علي بالحج سبع مرات ، وبالزيارة مرات) .
ولم أقطع عن قراءة الدروس في الحرم المكي الشريف مدة اقامتي بمكة ،
وأقمت نحو شهر في المدينة المنورة ، وكنت أقرأ الدروس في الحرم
النبوي .

٥ - الوظائف والأعمال :

تقلدت أثناء ذلك أعمالاً أخرى ، صدرت فيها مراسيم ملكية
وها هي ذي بترتيب تواريخها :
أ - عينت عضواً بمحكمة مكة الشرعية الكبرى ، ونائبا لرئيس
هيئة المراقبة القضائية سنة ١٣٤٦ هـ .
ب - وعينت مفتشاً للعلوم الدينية في مدارس الحجاز ، ومدرساً
للتوحيد والتربية العلمية سنة ١٣٤٧ هـ .

والدينية والعقلية على والدي الشيخ بهاء الدين ، وعلى عالمي الشام
جدي الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي ، وعلى
محدث الشام الشيخ بدر الدين الحسني ، ثم على العلامة الجليل الشيخ
محمد الخضر حسين التونسي شيخ الجامع الأزهر ، وقد قلت أيام
قراءتنا عليه بدمشق (وهو خاتمة شيوخي) :

ياسائلي عن درس رب الفضل مولانا الإمام
ابن الحسين التونسي محمد الخضر الهمام
سل عنه مستنصفي الأصول لليت معترك الزحام
أعني الغزالي الحكيم رئيس أعلام الكلام
وكذلك في فن الخلاف بداية العالي المقام
أعني ابن رشد من غدا بطل الفلاسفة العظام
وكذا صحيح أبي حسين مسلم حبر الأنعام
وكذلك المغني إلى شيخ النحاة ابن الهشام
وكذا كتاب أبي يزيد بن البرد في الختام
تلك الدروس كما الشمس تنير أفلاك الظلام
فتكون منك حقائق المعنى على طرف الشام
فالحق عوضنا به من شيخنا شيخ الشام^(١)
فعليه مآذر الغزاة رحمة الملك السلام

ولي إجازات علمية خطية من بعض هؤلاء الأجلاء ، أحسن الله إليهم ،
وجمعنا بهم في دار كرامته .

٣ - المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجمع القاهرة والعراق :

انتخبت عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٣٤٠ هـ =

١٩٢٢ م

(١) هو علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي .

هـ - وفي عام ١٩٤٣ م انتخبني وزارة المعارف مدرساً لمادتي التفسير والحديث في داري المعلمين والمعلمات .

و - ثم عينت بدمشق مدرساً للتفسير والحديث في كلية الآداب من فروع الجامعة السورية من عام ١٩٤٧ - الى عام ١٩٥٣ م . وفي أول رجب من سنة ١٣٧٨ هـ وكانون الثاني ١٩٥٩ م عينت مدرساً للتفسير في كلية الشريعة .

٧ - العودة الى الحجاز :

في عام ١٣٦٣ هـ استدعاني جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله لانشاء دار التوحيد بمدينة الطائف ، فليت الدعوة وبذلت أقصى الجهد حتى تم انشاؤها وبقيت فيها ثلاث سنوات ، الى أن أصبحت ثانوية كبرى ، وقد كتبت عنها الصحف العربية وغيرها بأنها معهد أنشئ لتخريج قضاة ومفتين ، ودعاة الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكان صحتني في هذه المرة ولداي يسار وعاصم ، وكاننا عوناً لي في الإدارة والتعليم ، وقد عاد الأول بعد انتهاء السنة الدراسية الثانية ، وعاد الثاني بعد انتهاء السنة الثالثة .

٨ - الإمامة والخطابة والتدريس :

توفي والدي الشيخ بهاء الدين سنة ١٣٢٨ هـ رحمه الله فحللت محله في جامع محلة القاعة من حي الميدان بضع سنين إمامة وخطابة وتدریساً ، وبعد وفاة خالي الشيخ أحمد رحمه الله أمرني والده سيدي الجد الشيخ عبد الرزاق البيطار سنة ١٣٣٥ هـ بتولي إمامة جامع كريم الدين الشهير بالدقاق (في حي الميدان) مع الخطابة والتدريس ، ثم تولى الإمامة ابن عمي الشيخ جميل ، وبقيت خطيب الجامع ومدرسه ، ولا أزال مواظباً عليهما بحمد الله الى هذا التاريخ ١٣٨٧ هـ .

ومن سمع خطب هذا الضعيف في جامع الدقاق ، الأساتذة الأجلاء :

سمي الأثري البغدادي ، وحبيب العيادي الموالي ، وعبد القادر المغربي الطرابلسي ، رئيس مجعنا العلمي بدمشق ، وأبو عبد الله الزنجاني الإيراني ، وابن عمه عبد الكريم ، ومحمد سعيد العرفي الديري ، ومحمد تقي الدين الهلالي المغربي ، والأمير شبيب أرسلان وغيرهم . وبعد أداء الخطبة وصلاة الجمعة آكون في صحبتهم الى دارنا لنقوم بواجبنا ، ولنستفيد من حكمتهم ، ونبقى الى ما بعد صلاة العصر .

وأما الإمام للصلوات الخمس ، فهو ابن عمي الشيخ محمد نعيم البيطار . ولنا مجلس بعد العشاء في احدى حجر هذا الجامع ، قرأنا فيه طائفة من الكتب الدينية والعقلية والعربية ، بحضور إمام الجامع الشيخ نعيم ، وإمام جامع الساحة وخطيبه الشيخ مسلم الغنيمي الميداني حفيد الشيخ عبد الغني الشهير ، والشيخ ابراهيم حشون إمام جامع السفارة السعودية ، والقاضي الأستاذ سعدي أبو حبيب ، وكنا نقرأ مع هؤلاء الإخوان كتاب الموافقات للشاطبي ، ومن مراجعنا كتاب الآمدي والمستصفي للغزالي في أصول الفقه ، ونقرأ أيضا كتاب ابن قيم الجوزية ، في الرد على المعطلة والجهمية ، ويحضر معنا الأستاذ أرسلان نجل صديقنا الأستاذ الشيخ حامد التقي ، ومن قبل كنت أقرأ دلائل الإعجاز لإمام البلاغة الجرجاني ، وكان يحضره سيادة صبري العسلي الرئيس السابق لمجلس الوزراء فتأثر ببلاغة هذا الكتاب خطابة وكتابة .

أما تدريسي في المدارس للعلوم على اختلافها — لا سيما علم التفسير — فكنت أبذل فيه أقصى الجهد ، وحسبي ما وصفه به بعض طلابنا الأداء بقوله :

وما أستاذنا البيطار إلا	وحيد الشام في علم الكتاب
فيشرح حين يشرح كل صدر	بمعنى من معانيه العذاب
ويبعث همّة الآساد فينا	كأن الشيخ في شرح الشباب

٩ - أهم ما ألهمنيہ الله تعالى من أبواب الخير :

أُهديت إلي في عهد جلالة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود (تغمده الله برحمته ورضوانه) سيارة بعد سيارة ، فوهبتهما الى دار التوحيد السعودية التي كنت رئيسها في مدينة الطائف ، وقدم إلي المجمع العلمي الروسي الذي لبينا دعوته (سنة ١٩٥٤ م) مبلغا يقرب من ألف ليرة سورية لاشتري به هدايا فرددته شاكرا فضلهم : وقدم إلي ألف ليرة سورية تبرعا من بعض أمراء آل سعود الكرام ، اذ شرفوا وحلثوا ضيوفا في الشام ، فتبرعت بالمبلغ كله لدار الأيتام السعودية بدمشق ، والحمد لله على فضله وكرمه .

أما تبرعاتي من مالي الخاص للمعاهد الدينية والخيرية ولإسعاف طلبتها ، أو العجزة المقيمين فيها ، فاسأل بها خيرا ، وأما المعاشات المرتبة لأولي الأرحام فيعرفها أهلها .

وما دعوت الى التعاون في أمر خيري على المنبر أو في الدروس ، إلا وكنت البادى بنفسي والله الحمد ، على أني لا أجمع يدي ولا أوزع بمعرفتي ، وقد اعتزلت الولائم والمآدب الرسمية وغيرها ، عملا بقول من قال :

فلزمننا البيوت نستخرج العلم ونملا به بطون الطروس

وأنا سعيد بالمحافظة على الوقت ، والمواظبة على العمل ، وقراءة الدروس في المساجد العامة ، والدروس العربية والدينية لطلاب العلم ، فله الحمد على ما أنعم ، والشكر له على ما ألهم ، ونسأله تعالى القبول والمثوبة .

١٠ - رحلاتنا الى الديار العربية والإسلامية والى العالمين الشرقي والغربي:

(١) الرحلة الى الحجاز والى نجد

رحلت (في ج ٢ سنة ١٣٣٨ هـ) الى الحجاز ونجد للدعوة الى عقد

اتفاق عام ، بين أمراء الجزيرة وأئمتها الكرام ، دفعاً للعدوان الأجنبي على بلاد العروبة والاسلام ، وتكليفني بهذه المهمة كان من جلاله الملك فيصل الأول الهاشمي والسيد الإمام محمد رشيد رضا منشئ المنار والتفسير بمصر أيام الحكومة العربية السورية الأولى . وهي الرحلة التي وصفت في هذا الكتاب .

(٢) الرحلة الى الاقطار العربية

كانت رحلتي الثانية من دمشق الى العراق ونجد والحجاز في ذي القعدة سنة ١٣٦٣ هـ وتشرين الأول سنة ١٩٤٤ وكان ترتيبها هكذا : دمشق ، بغداد ، البصرة ، الكويت ، الرياض ، المدينة المنورة ، مكة المكرمة ، بدعوة من جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود لإنشاء معهد ديني في الطائف ، من أرض الحجاز . وكانت وقفتنا في عرفات يوم الجمعة في ٩/١٢/١٣٦٣ هـ والله الحمد . والمعهد هو (دار التوحيد السعودية) وهو كالمعهد السعودي الذي أسس بمكة .

(٣) الرحلة الى القاهرة والإسكندرية

سافرت في ٩/٢/١٩٥٥ م من دمشق الى القاهرة فإسكندرية لانعقاد مؤتمر مواصلة العمل الاسلامي المسيحي : لإحلال السلام ، محل الحروب والخصام ، بين الشعوب والأقوام ، كما انعقد قبل سنة في لبنان ، وقد ألقى الخطاب الرئيسي في نصره فلسطين ، ونشرته جريدة الأيام الدمشقية ، كما نشرت نص قرار المؤتمر بشأن فلسطين (في ٣٠ ج ٢ سنة ١٣٧٤ هـ و ٢٣ شباط ١٩٥٥ م) .

(٤) الرحلة الى البلاد الروسية

لبى المجمع العلمي العربي بدمشق ، دعوة مجمع العلوم الروسي ، واختار أربعة من أعضائه وهم : الأمير جعفر الحسني ، والدكتور حسني

سبح ، والدكتور في الآداب سامي الدهان ، وكاتب هذه السطور محمد بهجة البيطار . (وكان ذلك في ربيع الأول ١٣٧٤ هـ و تشرين الثاني ١٩٥٤ م) .

وقد زرنا : موسكو ، وطاشقند ، وسمرقند ، ولينين غراد ، وستالين غراد ، وغيرها من المدن ، وكنت أصلي فريضة الجمعة مع إخواني المسلمين في مساجدهم . وقد زرنا الجامعات العلمية ، والمكتبات الكبرى ، والمصانع ، والمزارع ، والمعارض ، في مدة خمسة عشر يوما ، وكان تكلمي مع الترجمان الروسي باللغة الفرنسية لأنه لا يعرف العربية ولا أعرف لغته الروسية .

(٥) السفر الى خطوط النار في فلسطين

حضرنا مؤتمر العالم الإسلامي الذي انعقد بدمشق مدة خمسة أيام (في رجب سنة ١٣٧٥ هـ ونيسان سنة ١٩٥٦) وكان يمثل أعضاؤه — وهم ٥٧ عضواً — ست عشرة دولة .

ثم ذهبنا هذه الوفود وذهبنا معها الى خطوط النار بفلسطين ، ومررنا بعمان ، والقدس ، والخليل ، ونابلس ، وجنين ، وطولكرم ، والخطوط الامامية من القرى والمخيمات . ولما زرنا مدرسة البر بأبناء الشهداء في عقبة جبر ، خطبت مستفزا الحية والأريحية ، فبلغ مجموع التبرع من هذه الوفود الكريمة خمسة آلاف ليرة سورية ، والله الحمد والشكر .

(٦) الرحلة الى الولايات المتحدة

كانت الدعوة موجهة إلي من أصدقاء الشرق الأوسط لزيارة بلادهم ، ولتقريب وجهات النظر بين الأمتين الإسلامية والمسيحية . (وكان ذلك في شباط ١٩٥٦ م ورجب سنة ١٣٧٥ هـ) . والذي كلمني في ذلك ودعاني هو الدكتور هوبكنز نائب رئيس الجمعية المنفذ ،

ذاكراً ما يتوقع من فوائد للبلدين ، فليت الدعوة ، وكان في صحبتي
الأخ الكريم الأستاذ فوزي القبلاوي من شبان فلسطين . وقد زرنا
في رحلتنا هذه عشر مدن في شمالي الولايات المتحدة ، وهي : نيويورك .
تورنتو من كندا . دوتريت . شيكاغو . سان لويس . هdstون .
ناشفيل . اتلاتا . اتنس (من ولاية جورجيا) ريشموند . وكانت خاتمة
المطاف واشنطون . قصدناها راكبين من نيويورك بالسيارة ، وكنت
خطيب الجمعة في جامع واشنطون ، بتكليف من الأستاذ بيسار
الأزهري ، وهو رئيس المركز الاسلامي وخطيب المسجد ، وقد سَمع
خطابي بدمشق بواسطة المكبر ، وذكر لي بعض الإخوان في حيننا
الميدان خلاصته ، وكان موضوعه دعوة المسلمين في أميركا أن يمثلوا
الإسلام وأهله أفضل تمثيل بأخلاقهم الفاضلة ، ومعاملاتهم العادلة ،
وكنت في هذا المدن ألقى عدة محاضرات مرتجلة ، في كل يوم وليلة ،
وقد نشرت جريدة النصر (في ١٣/٢/١٩٥٦ م و ٢١/٨/١٣٧٥ هـ)
نص الخطاب الرئيسي الذي ألقته في هdstون في ٧ نيسان ١٩٥٦ تحت
عنوان : مصدر الكتب السماوية هو الله تعالى ، والرسول لا تختلف في
أسس دعوتها .

(٧) الرحلة الى باكستان والهند

لبى الوفد السوري دعوة رئيس جامعة بنجاب في مدينة لاهور .
واشتركنا في مؤتمر الندوة العالمية للإسلاميات (ج ١/١٣٧٧ =
ك ١/١٩٥٧) . وشرفني الوفد السوري برئاسته . وقد زرنا العاصمة
كراتشي ، وكنت خطيب الجمعة في مسجد لاهور ، باقتراح الوفود
الإسلامية . ثم بعد انقضاء المؤتمر زرت دلهي (دهلي) من بلاد الهند
(على حسابي) وزرنا المعالم والأعلام . وهذه جمعيات ثلاث تشغل
باللغة العربية وعلومها :

(١) نظام جمعية لسان القرآن باكستان .

(٢) الأخذ بالأساليب الصحيحة لتعليم العربية •

(٣) النهوض بالمدارس العربية حتى تتبوأ مكانها اللائق بها في محيطنا التربوي وانشاء مدارس ليلية لتعليم العربية •

(٨) الرحلة الى الرياض

تفضل جلالة الملك سعود بن عبد العزيز بدعوتي الى الرياض للمذاكرة بشأن انشاء جامعة اسلامية في المدينة المنورة ، فليت الدعوة (في رجب سنة ١٣٨٠ هـ = ك ٢ سنة ١٩٦١) ، وكتبته المنهاج وسلمت نسخة منه الى جلالتهم وثانيه الى سماحة قاضي القضاة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، فقال الاستحسان والله الحمد •

(٩) الرحلة الى مصر

وتوجهت من الرياض الى القاهرة (في ٢٧ رجب سنة ١٣٨٠ هـ و ١٤/١/١٩٦١ م) لحضور مؤتمر اللغة العربية المؤلف من أعضاء المجمعين القاهري والدمشقي • وكان انعقاده مدة خمسة عشر يوما •

(١٠) الرحلة الى المدينة المنورة

عدنا في العام القابل (في أواخر رجب سنة ١٣٨١ هـ) فزرنا الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، واطلعنا على سيرها ، وألقينا محاضرات فيها ، وصلينا في المسجد النبوي ، وزرنا إمام الأنبياء والأتقياء ، صلاة الله وسلامه عليه ، وزرت صاحبيه ، وسكان البقيع ، وشهداء آئد ، واعتمرنا بمكة المكرمة ، وزرنا صديقنا الأكبر في جدّة الأستاذ الشيخ محمد نصيف ، وعدنا الى دمشق الشام •

نحمد الله تعالى على نعمته ، ونسأله المزيد من فضله وكرمه ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

ما ألفته أو أكملته أو شرحته :

لي من التأليف المطبوعة :

١ - (نقد عين الميزان) ألفته اقتصاراً لأستاذنا القاسمي وأئمة الرواية في الأخذ عن كل ثقة ثبت صدوق = ألفته أيام الطلب والتحصيل على الأستاذ ، وطبع في حياته سنة ١٣٣٢ هـ .

٢ - (نظرة في النفحة الزكية) هي دعوة الى مذهب السلف الصالح ، ونبذ المعتقدات الزائفة ، والآراء الفاسدة . طبع دمشق .

٣ - (الثقافتان الصفراء والبيضاء) ألقيتها محاضرة في المجمع العلمي ، وطبعت رسالة مستقلة ، وهي جامعة للأصول السديدة ، للثقافتين القديمة والحديثة .

٤ - إكمالي تفسير السيد الإمام ، محمد رشيد رضا لسورة يوسف عليه السلام ، مع مقدمة للسورة . طبع مصر .

٥ - تخريج أحاديث (قواعد التحديث ، من فنون مصطلح الحديث) لشيخنا القاسمي رحمه الله وشرحه . طبع دمشق .

٦ - نشر (مسائل الإمام أحمد ، لتلميذه الإمام أبي داود السجستاني) وهو أقدم كتب المكتبة الظاهرية ، وقد طبع في مطبعة المنار ، مع تعليقات لي ، وتحقيقات للسيد صاحب المنار ، رحمه الله تعالى .

٧ - تخريج أحاديث (كتاب البخلاء للجاحظ) وهو الذي حققه وصححه بعض رجال المجمع العلمي الكرام بدمشق .

٨ - كتاب المعاملات في الإسلام ، وتحقيق ما ورد في الربا للسيد صاحب المنار ، وقد أكملته بعد وفاته رحمه الله ، ووضعت له مقدمة وخاتمة طبع المنار .

٩ - تحقيق كتاب (الموفي في النحو الكوفي) ، ووضع تعليقات عليه تشرح غوامضه . وقد طبعه المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٧٠ هـ سنة ١٩٥٠ م

١٠ - شرح كتاب (أسرار العربية) ، لأبي البركات الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ وقد طبعه المجمع العلمي سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .

١١ - كتاب حياة شيخ الإسلام ابن تيمية من منشورات المكتب الاسلامي بدمشق . طبع دمشق سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .

١٢ - كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، والثلاث الأول من القرن الرابع عشر ، تأليف الشيخ عبد الرزاق البيطار حققه ونسقه وعلق عليه حفيده محمد بهجة البيطار من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وهو من « مطبوعات المجمع » وقد تم طبعه في ثلاثة أجزاء : الأول سنة ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م والثاني سنة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م والثالث سنة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .

١٣ - الإسلام والصحابة الكرام ، بين السنة والشيعة ، طبعها المكتب الاسلامي في بيروت ، على حساب السلفي الكبير ، الأستاذ الشيخ محمد نصيف الشهير .

١٤ - الكوثر وتعليقاته ومعه رسالتان للاستاذين المعلمي اليماني ، ومحمد عبد الرزاق حمزة طبع مصر .

١٥ - مقال في حياة حجة الاسلام الغزالي ، وآخر في الاشتقاق والتعريب ، القيتهما في مجعبي اللغة العربية بمصر ودمشق ، فنشرا في مجلتيهما ، وتفضل مجمع القاهرة فطبعهما مستقلين أيضا .

ملاحظة :

وفي مجلتي مجعنا العلمي العربي والتمدن الاسلامي ، وغيرهما من الصحف والمجلات ، - في ديار الشام والسعودية ومصر والعراق - عشرات المقالات المتنوعة ، تحتاج الى جمع وطبع ، رسائل مستقلة ، وبالله التوفيق .